المكتبة الكلاسيكية



دار الشروق

ويليام شكسبير

تاجر البندقية

ترجمة : حسين أحمد أمين



دار الشروق

مقدمـة

(١)

نُشرت هذه المسرحية فى كتاب لأول مرة عام ١٦٠٠ ، أثناء حياة شكسبير . غير أن ثمة من الدلائل ما يشير إلى أنه كتبها فى وقت تال لنهاية يوليو عام ١٥٩٦ ، وسابق على نهاية يوليو عام ١٥٩٨ . وأهم هذه الدلائل :

* إشارة وردت فى المشهد الأول من الفصل الأول إلى السفينة « أندرو » (أوسان أندريز) ، وهى سفينة أسبانية ضخمة استولى عليها الإنجليز فى يونيو ١٥٩٦ أثناء هجوم مفاجئ لهم على ميناء قادس ؛

* تسجيل طلب بتاريخ ٢٢ يوليو ١٥٩٨ لدى الشركة المحتكرة لحق الطباعة والنشر فى زمن شكسبير بطبع مسرحية « تاجر البندقية » ؛

* قضية التاجر البرتغالى اليهودى روديريجو لوبيز وإعدامه عام ١٥٩٤ بتهمة الخيانة العظمى .

وقد أضحى لوبيز هذا بعد اعتناقه المسيحية طبيبًا للملكة إليزابيث الأولى . وحين وفد المطالب بعرش البرتغال ، واسمه دون أنطونيو ، إلى لندن عام ١٥٩٢ ، اتصل به لوبيز وعاونه من أجل الوصول إلى غرضه . والظاهر أنه أقحم نفسه فى سبيل ذلك فى مغامرة سياسية خطرة سعى فيها إلى تحقيق مصالح ذاتية له . وحين دب خلاف بينه وبين إيرل إسيكس ، اتهمه إسيكس بالخيانة وبمحاولة دس السم لدون أنطونيو وللملكة إليزابيث ، فحوكم لوبيز فى فبراير ١٥٩٤ ، وأُعدم فى ٧ يونيو من نفس

العام . وقد نجح إسيكس فى إثارة اهتمام الرأى العام بهذه القضية ، إذ نجد إشارات عديدة إليها فى كتابات المعاصرين لها ، كما أعيد عرض مسرحية « يهودى مالطة » لكريستوفر مارلو ، فمُثّلت خمس عشرة مرة فيما بين ٤ فبراير ونهاية عام ١٥٩٤ . وكان لنجاح تلك المسرحية أثره فى حفز شكسبير على كتابة مسرحية مماثلة تؤدّيها فرقته ، وتتعرّض « لموضوع الساعة » الذى يحظى باهتمام الجمهور . وقد رأى البعض إشارة إلى قضية لوبيز فى قولة جراشيانو لشايلوك فى المسرحية :

« ما روحك الشريرة غير روح ذئب شنقوه لقتله آدميا ، ثم طارت من المشنقة لتنتقل إليك وأنت فى بطن أمك العاهرة » ، علما بأن معنى الذئب فى اللغة اللاتينية هو Lupus ، القريب من لوبيز .

(٢)

وقد استقى شكسبير أحداث المسرحية من عدة مصادر . فقصته ضمان اللحم الآدمى لسداد العقد نجدها فى الكثير من الأساطير الدينية عند الفرس والهنود . وترجع أقدم القصص الإنجليزية المعروفة التى تتحدث عن مثل هذا الضمان إلى أواخر القرن الثالث عشر ، وفيها نجد الدائن يهوديًا . غير أن أشبه القصص بأحداث « تاجر البندقية » هى القصة الأولى من قصص اليوم الرابع فى كتاب جيوفانى فيورينتينو « Il Pecorone » (الأبله) ، وهو مجموعة من القصص القصيرة الإيطالية كُتبت فى نهاية القرن الرابع عشر ، وطبعت فى ميلانو عام ١٥٥٨ . ورغم أنه لم يُعثر على ترجمة إنجليزية للقصة يمكن أن يكون شكسبير قد قرأها ، وبالرغم من أن الطريقة التى تم بها اختيار البطلة لزوجها تختلف فى تلك القصة عنها فى مسرحية « تاجر البندقية » ، فلا جدال فى أنها المصدر القديم الوحيد الذى تتفق الأحداث والتفاصيل فيه إلى حد كبير مع تلك الواردة فى مسرحية شكسبير ، بحيث يمكن القول فى ثقة بأن شكسبير قد اعتمد إما على النص الإيطالى (وربما كان قادرًا على فهم الإيطالية) ، أو على ترجمة إنجليزية له لم تصلنا ، وأن المترجم الإنجليزى قد

يكون هو المسئول ، لا شكسبير ، عن إضافة قصة الصناديق الثلاثة ، الذهبى والفضى والرصاصى ، عند الحديث عن طريقة زواج البطلة .

غير أن شكسبير كثيرًا ما كان يستخدم أكثر من مصدر واحد للمسرحية الواحدة . ومن الجائز فى حالة « تاجر البندقية » أن يكون قد استعان أيضًا بالكتاب الثالث من قصة « Zelauto » للكاتب مانداى (١٥٨٠) ، رغم أن المرابى مسيحى فى تلك القصة . فحديث بورشيا فى الفصل الرابع من « تاجر البندقية » عن الرحمة مقارب جدًا لما ورد فى قصة مانداى . كذلك فإن لدى المرابى فى تلك القصة ابنة تتزوج رغم إرادته من شاب يرث ممتلكاته فى نهايتها ، وثمة سيدتان فيها تتنكران فى المحكمة فى زىّ المحامين .

أضف إلى ذلك دَين شكسبير لمسرحية مارلو « يهودى مالطة » التى مُثّلت على المسرح لأول مرة حوالى عام ١٥٨٩ . فثمة فى المسرحيتين جمل عديدة متشابهة ، كما أنه لاشك فى أن تصوير مارلو لشخصية باراباس كان له صداه فى تصوير شكسبير لشخصية شايلوك ، وأن تحوّل ابنة اليهودى إلى الديانة المسيحية فى مسرحية مارلو أوحى إلى شكسبير بفكرة تنصير جيسيكا .

ومن المحتمل أيضًا أن يكون شكسبير قد استوحى أخلاقيات يهود لندن فى زمنه . فقد كان يعيش فى انجلترا فى ذلك العصر عدد من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية تحايلاً منهم على القانون الذى يحظر إقامة اليهود فى بريطانيا ، وظلوا مع ذلك محتفظين بأسلوب عيشهم المتميز وبعباداتهم القديمة .

أما عن قصة الصناديق الثلاثة فلعل شكسبير (أو المترجم الإنجليزى لقصة « Il Pecorone ») قد استقاها من إحدى حكايات مجموعة Gesta Romanorum التى كتبت باللاتينية فى العصور الوسطى ونشرت ترجمتها الإنجليزية عام ١٥٧٧ ، ثم أعيد طبعها بعد تصحيح الترجمة عام ١٥٩٥ . وفى تشابه بعض العبارات الواردة فى تلك الطبعة الثانية مع بعض العبارات التى استخدمها شكسبير فى حديثه عن الصناديق ما يوحى بأن قد استند إليها .

وأخيرًا فإن ثمة قصة إيطالية أخرى كتبها ماسوتشيو دى ساليرنو قرب نهاية القرن الخامس عشر تتحدث عن فرار ابنة بخيل ثرىّ من منزلها للحاق بعشيقها ، وبمعاونة

خادم لها ، آخذة معها مجوهرات أبيها الذى يحزنه ضياع مجوهراته قدر ما تحزنه خسارته لابنته . وهى نفس قصة جيسيكا فى « تاجر البندقية » .

(٣)

وبالرغم من أن « تاجر البندقية » ليست من خيرة مسرحيات شكسبير ، فإن إقبال مسارح العالم على عرضها [1] لا يفوقه غير إقبالها على عرض « هاملت » . ولعل للممثلين فى هذا الصدد تأثيرًا كبيرًا . فثمة شخصيات فى المسرحية هى قابلة لتأويلات مختلفة تُغرى كبار الممثلين بمحاولتها ، من شخصيتى أنطونيو وبسانيو اللذين كانا يُصوَّران بصورة الصديقين الحميمين ، حتى بدأ البعض منذ ستينيات هذا القرن يضيف إليهما صفة الشذوذ الجنسى ويجعلهما يتبادلان القبلات حتى فى قاعة المحكمة ، إلى شخصية بورشيا التى تحوّلت إلى رمز للمرأة المتحررة القوية ، إلى شخصية شايلوك التى تفاوتت التأويلات لها على مرّ القرون تفاوتًا كبيرًا ، وتراوحت ما بين الصورة الهزلية البحتة ، وصورة اليهودى الوغد عدو الإنسانية ، والصورة المأساوية لشخصية قوية نبيلة فى مواجهة مجتمع معادٍ له ، حتى وصلنا فى عصرنا الحديث ـ بعد ظهور النازية ـ إلى صورة الضحية البائسة لمشاعر العداء للسامية . وهى تأويلات ظلت تُغرى بمحاولتها أبرز نجوم المسرح فى كل عصر ، من تشارلس ماكلين (الذى لعب دور شايلوك لمدة خمسين عاما ، وظهر فيه لآخر مرة فى سن التاسعة والتسعين !) ، إلى إدموند كين ، إلى ويليام ماكريدى ، إلى سير هنرى إيرفينج ، إلى سيرجون جيلجود وسير دونالد وولفيت وسيرلورانس أوليفييه وبول روجرز وبيتر أوتول فى زمننا هذا .

فشخصية شايلوك مع قصر دورها (فهو يظهر فى خمسة مشاهد فقط من مشاهد المسرحية العشرين) هى المهيمنة على المسرحية . وإن نحن تأملنا شخصية « اليهودى

---

(١) خاصة فى ألمانيا .

الشرير » فى قصة « الأبله » (Il Pecorone) مصدر شكسبير الرئيسى ، أو شخصية باراباس فى مسرحية « يهودى مالطة » ، اتصح لنا أن شكسبير قدّم فى «تاجر البندقية » شخصية جديدة من خلقه هو وحده .

كان اليهود قد طردوا من انجلترا فى عهد إدوارد الأول (توفى عام ١٣٠٧) ، واستمر حظر تواجدهم فيها ما لم يعتنقوا المسيحية ، شكليا على الأقل ، فيتاح لهم عندئذ قدر من حرية ممارسة نمط عيشهم بل وشعائرهم الدينية . وفى العقد الذى كتبت خلاله « تاجر البندقية » لم يحدث إلا مرة واحدة فحسب أن ثارت مشاعر الجماهير فى لندن ضد اليهود ، وذلك وقت محاكمة لوبيز وإعدامه . فاليهود فى انجلترا فى ذلك العصر لم يكن ينظر إليهم بعين الخوف ، وإنما باعتبارهم أشخاصًا غريبى الأطوار والعادات ، غريبى السلوك ، ينتمون إلى أزمنة سحيقة وأصقاع بعيدة، ويكرهون المسيحيين كافة ، جديرين بالسخرية أكثر مما هم جديرون بالعداوة .

وقد كانت صورتهم فى الأعمال الأدبية عادة صورة مسطحة هزلية لا عمق فيها ، حتى جاءت مسرحية « تاجر البندقية » فأضافت إليها أبعادًا جديدة . ذلك أنه بالرغم من أن شكسبير كتبها فى جو من العداء لليهود أثارته قضية لوبيز ، ولكى تنافس فرقته بها تلك الفرقة التمثيلية التى كانت تقدم مسرحية مارلو بنجاح كبير ، فإنه لا يمكن وصفها بسهولة بأنها مسرحية معادية لليهود . فقد أتاح شكسبير الفرصة أمام شايلوك لكى يبرر تصرفاته ويدافع عنها ، بل وأثار فينا فى بعض المواقف مشاعر التعاطف معه . . قد يكون شكسبير ـ وقت التفكير فى كتابتها ـ قد اعتزم السخرية من اليهود وتحقيرهم . غير أنه حين شرع يؤلفها رأى نفسه مدفوعًا إلى تصوير آدمى متعدد الأبعاد ، لا مجرد وحش بغيض كاسر يلعنه الناس . إستمع إليه يقول :

« سيدى أنطونيو . مرارًا وتكرارًا عيّرتنى فى الريالتو بسبب ثروتى وما أتقاضاه من الربا . ومع ذلك فقد تحمّلتُ الإهانات فى صبر . فالصبر شعار قبيلتنا بأسرها . . نعتّنى بالكفر ، وبأنى كلب سفاح ، وبصقت على زيّى اليهودى ، دون ما سبب غير استثمارى لأموال **هى ملكى** . . حسنا إذن . والآن يبدو وكأنك فى حاجة إلى

مساعدتى . . . دعنى منك ! تأتينى وتقول : « شايلوك ، نريد مالا » . تقول لى هذا وأنت الذى بصقت لعابك على لحيتى ، ورفستنى رفسك للكلب الضال عند عتبة دارك . . تريد مالا . . فما عساى أن أقوله لك ؟ أليس من واجبى أن أقول : « وهل للكلب مال ؟ أيُعقل أن يكون بوسع الكلب إقراض ثلاثة آلاف دوقية ؟ » ، أم أن علىّ أن أنحنى لك ، وأن أهمس كالعبد الذليل وبأنفاس متقطعة : « سيدى الكريم، قد بصقت علىّ يوم الأربعاء الماضى ، وركلتنى فى اليوم الفلانى ، ونعتّنى بالكلب تارة أخرى ، ومن أجل كل هذا التعطّف منك سأقرضك مالا كثيرًا ؟ »

كل هذا دون أن يتعرض شكسبير للإجابة على التساؤل الأزلى عما إذا كان الاضطهاد الذى يتعرض اليهودى له هو الذى جعله شريرًا حقودًا ، أو أن طباعه الشريرة هى السبب فى اضطهاد الناس له .

أما الموقف الواضح لدى شكسبير فهو الخاص بالربا . فاليهودى لا يكره التاجر أنطونيو لأنه مسيحى فحسب ، وإنما أيضًا لأنه « يقرض المال بدون فوائد ، فيقلل مما نجنيه من الربا هنا فى البندقية » . . وقد كان الجدال مستعرا فى انجلترا وقت شكسبير حول مزايا وعيوب الربا ، وهو إقراض المال بغرض الكسب . وكان الرأى الشائع هو أن الربا شر عظيم ، غير أن البعض قالوا بشرعيته مع ضرورة مراقبته . فإن كانت الكتب المقدسة تحرّمه ، فقد جاء كلفن وغيره من رجال الدين يقرون بضرورته فى المجتمع الحديث ، وكتب فرانسيس بيكون مقالا عنه يصفه فيه بأنه حتمىّ « لا يمكن تجنّبه » ، فى حين وصفته القوانين الإنجليزية بأنه خطيئة ينبغى قمعها وإن سمحت به على ألا تتجاوز قيمة الفائدة ١٠٪ من أصل القرض . وقد كانت ثمة ضرورة ملحة لدى الكثيرين فى ذلك العصر إلى الاقتراض من الغير ، وكان الأكابر من أمثال سيدنى وإيسيكس وليستر وساوثامبتون ، بل وحتى الملكة إليزابيث ، مضطرين إلى استدانة مبالغ طائلة من البنوك الأوروبية . كما اضطرت فرقة شكسبير التمثيلية نفسها إلى اقتراض مبلغ لبناء مسرحها بفوائد أرهقت كاهلها .

ومع وضوح استنكار شكسبير للربا ، فقد أتاح لشايلوك فرصة تبريره وكأنما كان عاقد العزم على ألا تكون الشخصية بأىّ حال من الأحوال مسطحة باهتة لا تثير لدى الجمهور غير مشاعر العداء والغضب والكراهية . وقد أفلح بالفعل فى مسعاه ، أو

هكذا يبدو لى . فقد يكون شايلوك مضحكًا فى دور الأب البخيل ، وقاسيًا متوحشًا فى دور المرابى ، غير أنه إنسان يشعر ويتألم ، ويعانى ويصبر ، قوىّ الشخصية ، معتزّ بدينه ، فخور بقومه . . استمع إليه فى الفصل الثالث يتحدث عن أنطونيو فيقول :

« قد هزأ بخسائرى ، وسخر من أرباحى ، واحتقر أمّتى ، وأفسد صفقاتى ، وحوّل عنى أصدقائى ، وأثار علىّ أعدائى . فما دافعه إلى ذلك ؟ أننى يهودى . . أما لليهودى عينان ؟ أما لليهودى يدان ، وأعضاء وهيئة ، ومدارك وعواطف وأحاسيس؟ أليس كالمسيحى يأكل من نفس الطعام ، وتؤذيه نفس الأسلحة ، وتصيبه نفس الأمراض ، ويعالجه نفس الدواء ، ويشعر بالدفء فى نفس الصيف ، وبالبرد فى نفس الشتاء ؟ ألا يسيل الدم منا إذا طعنتمونا ، ونضحك إذا داعبتمونا ، ونموت إذا سممتمونا ؟ فإن أنتم أسأتم إلينا ، أفما من حقنا أن ننتقم ؟ فإن كنا مثلكم فى كل ما ذكرت ، فسنكون مثلكم فى هذا الصدد أيضًا . إذ ما جزاء اليهودى إن هو أساء إلى مسيحى ؟ الثأر . وما هو بالتالى جزاء المسيحى إن هو اساء إلى يهودى؟ هو الثأر أيضا ! وستشهدون منى الغلظة التى تعلّمتها منكم ، بل وأشدّ منها إن لم يحل بينى وبينها حائل » .

(٤)

لقد سيقت أمامنا نقائص شايلوك واحدة إثر أخرى وسُلّط الضوء عليها . أما نقائص خصومه من المسيحيين الذين يبدو المؤلف متعاطفا معهم فإنه يمرّ عليها مرّ الكرام . فأنطونيو الذى يصفه أصدقاؤه ومعارفه بأنه أطيب الناس قلبًا ، يسبّ اليهودى ، ويصفه بالكلب السفاح ، ويركله بقدمه وكأنه كلب ضال ، ويبصق على زيّه اليهودى ، ثم يقول له وهو يسعى إلى اقتراض مبلغ من المال منه : « وما أحسب إلا أنى سأنعتك بهذا مرة أخرى ، وأبصق عليك مرة أخرى ، وأركلك أيضًا بقدمى . . فإن أنت أقرضتنى المال فلا تقرضه لى إقراض الصديق للصديق . . ولكن

أقرضه لى إقراضك لعدو » . وأما صديقه المفلس بسانيو ، فهو حين يطلب قرضًا جديدًا من أنطونيو حتى يتقدم لخطبة الوارثة الغنية بورشيا ، لا يتحرج من أن يخبره بأن زواجه منها سيمكّنه من سداد الديون القديمة والجديدة معًا ، (من مال زوجته بطبيعة الحال) . وأما صديقهما لورينزو فإنه حين يأتى إلى دار اليهودى ليهرب مع ابنته جيسيكا ليتزوج منها ، لا يجد أدنى حرج من أن يتلقف منها علبة تخبره جيسيكا صراحة بأنها تحوى أموالاً وحليًا سرقتها من أبيها !

غير أن شكسبير يسعده دائمًا مزج الفضائل بالنقائص حتى تأتى شخصياته أكثر واقعية وإنسانية وأبعادًا . . . وثمة مزج آخر قد أتقنه ، هو مزجه لقصص مختلفة لا صلة تربط بين موضوعاتها فى قصة واحدة متّسقة منسجمة . . فقد يتساءل القارئ هنا عن صلة قصة الصناديق الثلاثة التى تستغرق أربعة مشاهد من المسرحية بقصة رطل اللحم الذى يطالب به شايلوك . غير أنه يمكن للمدافعين عن هذا المزج أن يردّوا بالقول إنه بالرغم من أن شكسبير استقى القصتين من مصدرين مختلفين ، فقد نجح فى خلق صلة عضوية بينهما . فالموضوع الرئيسى فى المسرحية هو الأخذ والعطاء، وأن الإنسان إن وهب الكثير نال الكثير ، أو على حدّ تعبير المسيح : « من عنده سيُعطَى ، ومن ليس عنده سيؤخذ منه » . والعطاء السخى دون تفكير فى مقابل هو أجمل ما فى هذه الحياة من قيم ، وهى القيم التى تمثلها الصناديق الثلاثة : الذهبى والفضى والرصاصى . وسيتوقف الفوز بنعيم الدنيا على طبيعة تكوين الشخص التى ستهديه إلى اختيار القيمة المثلى .

ويتصل بموضوع الأخذ والعطاء موضوع القانون والرحمة . فحين تقف بورشيا وجها لوجه أمام شايلوك فى مشهد المحاكمة ، نشهد الرحمة فى مواجهة القانون ، والسخاء فى مواجهة حب التملك ، والحب الذى هو على استعداد للمخاطرة بكل شىء فى سبيل المحبوب فى مواجهة المطالب بأن ينال ما يستحق ، والعهد الجديد من الكتاب المقدس فى مواجهة العهد القديم . . وقد وصف أحد النقاد مسرحية « تاجر البندقية » بأنها « أقوى ما كتب فى الأدب العالمى فى مضمار السخرية بالقانون والمحاكم » . فهى ترمى إلى الإيحاء بأن من تمسك بالقانون أهلكه القانون ، ولابد لمن يظل دوما يطالب بتطبيق العدالة من أن يضطر فى النهاية إلى الركوع طالبًا الرحمة التى

هى فوق كل قانون أو عدالة . . استمع إلى بورشيا خلال مرافعتها تقول فى وصف الرحمة :

« هى تهبط من السماء كالرذاذ على ما تحتها . وهى تبارك الطرفين معا : من كان مصدرها ومن كان موضعها . وهى تبدو فى أقوى صورها فى أقوى الناس ، فتزين الملك على عرشه أكثر مما يزينه تاجه . قد يكون صولجانه رمزًا لسلطته الدنيوية ولمهابته وجلالته ؛ فهو مصدر خشية الناس وخوفهم من الملوك . أما الرحمة فأعلى شأنا من التاج والصولجان . إنها تجلس على عرش قلب الملك . وهى من صفات الله نفسه ، مما يجعل فى السلطة الدنيوية شبها بقدرة الله حين تجلّل الرحمة العدالة . . وحيث أنك أيها اليهودى تطالب بتحقيق العدالة ، فإنى أريدك أن تتدبّر هذه الحقيقة : وهى أننا إن التزمنا بالعدالة وحدها فلن يُكتب لأحد منا الخلاص . إننا فى دعائنا نطلب لأنفسنا الرحمة . وهذا الدعاء ذاته يعلّمنا واجب الإشفاق على الآخرين» .

* * *

وقد أخطأ المخرجون فى الماضى بحذفهم الفصل الخامس بأسره من عرضهم للمسرحية ، ظنا منهم أنه لا يضيف جديدًا بعد مشهد المحاكمة ، بل ويضعف من تأثير ذلك المشهدالقوى . وهو فهم قاصر للمسرحية كلها ولغرض شكسبير منها . فالفصل الخامس هو فى الحقيقة تتويج للمسرحية بأسرها ، إذ نرى فى مطلعه اجتماع لورينزو المسيحى بجيسيكا اليهودية ، (أو العهد الجديد بالقديم) . ففى أىّ موضوع نسمعهما يتحادثان وقد جمع الحب بينهما ؟ فى فن الموسيقى ، وهو الفن الذى نراه دائمًا عند شكسبير يرمز إلى الإنسجام فى عالمنا هذا .

يقول لورينزو :

« لنجلس هنا ، وندع نغمات الموسيقى تداعب آذاننا . . . مثل هذا الانسجام تعرفه الأرواح الخالدة ، فإن أطبقت عليها أجسادنا الفانية الغليظة المخلوقة من طين، سلبتنا القدرة على سماعه . . . يكفى أن تلاحظى قطيعا من الحيوانات البرية الهائمة ، أو جنسا من الخيول الصغيرة التى لم يركبها بشر ، تقفز كالمجنونة وتصهل صهيلاً يصم الآذان وقد هاجت الحرارة الغريزية فى دمائها . حتى إذا ما سمعت

صوت بوق ، أو وصلت إلى آذانها أنغام من الموسيقى ، رأيتها وقد توقّفت جميعها فى آن واحد ، وتحوّلت النظرة الشرسة فى عيونها إلى نظرة وديعة ، بفعل سحر الموسيقى . لذلك ذهب الشاعر (أوفيد) إلى أن أورفيوس كان يجذب إليه الأشجار والحجارة وسيول المال ، حيث أنه ما من شيء مهما بلغت غلظته وصلابته وشدته إلا أفلحت الموسيقى فى تغيير طبيعته إلى حين . والإنسان الذى تفتقر روحه إلى الموسيقى ، ولا يهزه الانسجام فى الأنغام العذبة ، خليق بالخيانة والمكر والنهب ، ظلام روحه فى مثل ظلام الليل ، ولا يجدر بأحد أن يأتمنه ! »

وعند شكسبير يمثّل شايلوك ذلك الإنسان الذى تفتقر روحه إلى الموسيقى ، ولا يهزه الأنسجام فى الأنغام العذبة ، قد لقى شر جزاء من جراء تمسكه بالقانون دون مشاعر الرحمة ، وبالعقل والمنطق والقوة دون الصداقة والحب . أما أولئك الذين كانوا دائمًا على استعداد للتضحية بكل ما يملكون ، بل وبحياتهم نفسها فى سبيل الآخرين ، فيجمعهم الفصل الأخير وقد فازوا بكل شيء ، وتحققت سعادتهم على أكمل وجه .

حسين أحمد أمين

مصر الجديدة فى ١٨ إبريل ١٩٩٤

شخصيات المسرحية

دوق البندقية	
أمير مرّاكش	خاطِبان لبورشيا
أمير أراجون	
أنطونيو	من تجّار البندقية
بسانيو	صديق لأنطونيو ، وخاطب لبورشيا
جراشيانو	من أصدقاء أنطونيو و بسانيو
ساليريو	
سولانيو	
لورينزو	عاشق جيسيكا
شايلوك	يهــودى
طوبال	يهودىّ وصديق لشايلوك
لانسلوت جوبّو	قروىّ وخادم لشايلوك
جوبّو العجوز	والد لانسلوت
ليوناردو	خادم بسانيو

بالتازار	}	خادمان لبورشيا
ستيفانو		
بورشـيا		وارثة ، من مدينة بلمونت
نِيريسّـا		وصيفة بورشيا
جيسيكا		إبنة شايلوك

نبلاء من البندقية ـ موظفون بالمحكمة ـ سجّان ـ خدم وأتباع آخرون .

تدور أحداث المسرحية فى البندقية ، وفى دار بورشيا بمدينة بلمونت .

مشـاهـد المسـرحيـة

الفصل الأول :

المشهـد الأول : البندقيـة

المشهـد الثانى : بلمـونت

المشهد الثالث : البندقيـة

الفصل الثانى :

المشهـد الأول : بلمـونت

المشهـد الثـانى : البندقيـة

المشهد الثـالث : البندقيـة

المشهد الرابـع : البندقيـة

المشهد الخامس : البندقية ـ أمام دار شايلوك

المشهد السادس : نفس المنظر السابق

المشهد السـابع : بلمـونت

المشهد الثـامن : البندقيـة

المشهد التـاسع : بلمـونت

الفصل الثالث :

المشهـد الأول : البندقيـة

المشهد الثانى : بلمونت

المشهد الثالث : البندقية

المشهد الرابع : بلمونت

المشهد الخامس : بلمونت

الفصل الرابع :

المشهد الأول : البندقية ـ محكمة

المشهد الثانى : البندقية

الفصل الخامس :

المشهد الأول : بلمونت ـ بستان أمام دار بورشيا

الفصل الأول

الفصل الأول

المشهد الأول
البندقية

(يدخل أنطونيو ، وساليريو ، وسولانيو)

أنطونيو : صدّقانى حين أقول إنه لا علم لى بسبب هذا الحزن الذى ألمَّ بى . . إنه حزن يُضنينى ، وأنتما تقولان إنه يُضنيكما . غير أنى لا زلتُ أجهل كيف انتقلت إلىّ عدواه ، أو كيف صادفتُه أو التقيتُ به ، جهلى بماهيته ومصدره . وقد أطار الهمّ لُبّى حتى غدا من الصعب علىّ أن أفهم نفسى .

ساليريو : كل ما هناك هو أن ذهنك يتأرجح على أمواج المحيط ، حيث تمخرُ سفن بضائعك بأشرعتها المهيبة ، وتسير فوق الماء سَيْرَ النبلاء والمواطنين الأثرياء فوق الأرض ، أو سَيْرَ سفن المهرجانات الضخمة التى تتطلّع من علٍ إلى المراكب الصغيرة بالقرب منها ، وتخلّفها وراءها وكأنما تطير طيرًا بأجنحتها المنسوجة ، بينما تُحنى لها تلك المراكب هامتها تعبيرًا عن احترامها .

سولانيو : صدقنى ياسيدى ، لو أنى خاطرتُ مثلك بإرسال سفنى وبضائعى إلى عرض البحر ، لا نحصر جُلّ اهتمامى فيما عقدتُه من آمال خارج بلدى ، ولَظَلَلْتُ أقتلع الأعشاب حتى تنبئنى بمسرى الريح ، وأدرس الخرائط باحثًا عن الموانئ والأرصفة والطرق ، ولأحزننى دون أدنى شك كل ما قد يثير مخاوفى من أن يلحق بتجارتى شرّ .

ساليريو : ولأصابتنى أنا القشعريرة كلما نفختُ على حسائى لأبرّده ، فيذكّرنى نفخى بالضرر الذى يمكن للريح العاصفة أن تُحدثه فى البحر . فإن نظرتُ إلى الرمل يجرى فى الساعة الرملية فكّرت فى المياه الضحلة ، وتصوّرت سفينتى المحمّلة ـ كالسفينة أندرو [١] بثمين البضائع ، وقد غرست فى الرمال، وانحنى صاريها العالى إلى ما دون أضلاعها لتقبّل قبرها . وإن توجّهتُ إلى الكنيسة ورأيت بناءها الحجرىّ المقدس ، خطرت على التوّ فى بالى صورة الصخور الخطرة التى ما تمسّ جانب سفينتى الرقيقة حتى تتبعثر كافة التوابل فيهاعلى سطح البحر ، وتتخذ الأمواج الصاخبة من أقمشتى الحريرية رداء لها ، وأتحوّل ـ باختصار شديد ، وفى مثل لمح البصر ـ من إنسان ثرىّ إلى رجل لا يملك شيئًا . فإن كان بالوسع أن أفكر فى هذا ، فبالوسع أيضًا أن أتصوّر أن يكون تحقّق هذه المخاوف كفيلاً بأن يحزننى . . فلا تجادلانى إذن : فأنا واثق من أن سرّ حزن أنطونيو هو قلقه على تجارته .

أنطونيو : صدقنى حين أنكر هذا . فمن حسن حظى أنى لم أودع كل ثروتى فى سفينة واحدة ، ولا وجّهتها إلى مكان واحد ، بل ولا هى مرتبطة بأسرها بمصير تجارتى هذا العام وحده . ولهذا فإنه ليس صحيحًا أن مصدر حزنى هو القلق على تجارتى .

سولانيو : فأنت عاشقٌ إذن .

أنطونيو : محض هراء .

سولانيو : لا القلق على التجارة ولا العشق ؟ فلنقل إذن إنك حزين لأنك غير سعيد، تمامًا كما نقول لو أنّا رأيناك تضحك وتقفز فى الهواء إنك سعيد لأنك غير حزين . . فبحقّ الإله يانوس ذى الوجهين [٢] ، لقد خلقت

(١) السفينة أندرو (أو سان أندريز) سفينة أسبانية ضخمة استولى عليها الإنجليز فى يونيو ١٥٩٦ ، أثناء هجوم مفاجئ لهم على ميناء قادس .

(٢) يانوس : أحد كبار الآلهة فى الميثولوجيا الرومانية ، ومن اسمه اشتُقّت تسمية الشهر الأول من =

الطبيعة فى مسارها أناسًا غريبى الأطوار ؛ بعضهم يظل دومًا يتطلّع إلى الزمّار وقد ضَيَّقَ من أعينهم الضحك ، فيقهقه قهقهة الببغاء ، وبعضهم ذو سحنة كئيبة لا يفترّ وجهه عن ابتسامة تُرينا أسنانه ولو أقسم له نستور [١] أن النكتة ظريفة .

(يدخل بسانيو ، ولورينزو ، وجراشيانو)

ها هو قريبك النبيل بسانيو ومعه جراشْيانو ولورينزو . . وداعًا إذن ، ونتركك الآن مع صحبة أفضل .

ساليريو : كنت أودّ لو بقيت معك حتى أبدّد حزنك ، لولا وصول هؤلاء الأصدقاء الأكثر جدارة منى .

أنطونيو : جدارتك عظيمة عندى . غير أنى أدرك أن شئونكما الخاصة تدعو كما إليها، فانتهزتما الفرصة للانصراف .

ساليريو : صباح الخير ياسادة .

بسانيو : متى نلتقى ثانية أيها السيدان فنلهو ونضحك ؟ لابد من تحديدكما لموعد ، فقد صرتما كالغريبين ، وهو ما لا أجد مبررًا له .

ساليريو : سنحاول التوفيق بين أوقات فراغنا وأوقات فراغكم .

(يخرج ساليريو وسولانيو)

لورينزو : والآن ياسيدى بسانيو ، حيث أنك قد عثرت على أنطونيو فسنترككما . غير أنى آمل أن تتذكر مكان تلاقينا وقت العشاء .

بسانيو : لن أتخلّف عن لقائكما .

= شهور السنة (يناير) . وتصوّره التماثيل رجلاً ملتحيًا ذا وجهين يتطلّعان إلى جهتين متقابلتين : وجه باسم ووجه عابس . وهما وجهان يمثّلان عند شكسبير الملهاة والمأساة .

(١) نستور : من شخصيات ملحمة « الإلياذة » ، صوّره هوميروس فيها رجلاً مسنًا مهيبًا شديد الوقار ، غزير الحكمة .

جراشيانو : لا تبدو صحتك على ما يرام ياسيد أنطونيو . . فأنت تأخذ الدنيا على محمل الجدّ أكثر مما ينبغى ، ومن يشغل باله بها لم يجْنِ مُتَعَها . . صدّقنى، لقد طرأ عليك تغير رهيب .

أنطونيو : إنما آخذ الدنيا يا جراشيانو كما ينبغى أن تؤخذ الدنيا : باعتبارها مسرحا يلعب عليه كل إنسان دوره ، ودورى فيها هو دور رجل حزين .

جراشيانو : إئذن لى إذن بأن ألعب دور المهرج . فلتصبنى تجاعيد الشيخوخة ، ولكن بفضل اللهو والضحك . فإنى لأفضّل أن يتأثر كبدى بحرارة النبيذ على أن تبرّد قلبى تنهّدات الأسى . إذ ما الذى يدعو إنسانًا يجرى الدم دافئًا فى عروقه إلى الجلوس جلسة تمثال من الرخام لأحد أجداده ، وإلى النوم فى حال اليقظة ، والسماح لداء الصفراء بأن يصيبه من جرّاء اكتئابه ؟ إسمعنى يا أنطونيو . إنى أحبك . وحبى لك هو ما يدفعنى إلى أن أقول ما سأقوله : ثمة صنف من الناس تعلو الجهامة وجوههم كما يعلو الزَّبَدُ سطح البركة الراكدة ، ويصرّون على التزام الصمت حتى ينسب الناس إليهم الحكمة والوقار والفكر العميق ، ولسان حال الفرد منهم يقول : « إنما أنا الوحى الإلهى ، فإن فتحت فمى للكلام فلتحجم الكلاب عن النباح ! » . . . آه يا أنطونيو ! إنى لأعرف أناسا لم يشتهروا بالحكمة إلا لامتناعهم عن الحديث . وإنى لَجَدُّ واثق من أنهم لو تكلموا لَنَعَتَهُم مستمعوهم بالغباء . . سأؤجل المزيد من حديثى هذا إلى وقت آخر . ولكنى أناشدك ألا تستخدم حزنك هذا فى إحراز هذه السمعة سهلة الصيد . . . هيا يالورينزو ، وتمنياتى الطيبة حتى نلتقى ، فأختم مناشدتى لك بعد العشاء .

لورينزو : نترككما إذن إلى وقت العشاء . . لابدّ أننى أحد هؤلاء الحكماء الصامتين حيث أن جراشيانو لا يترك لى فرصة للحديث !

جراشيانو : ولو صحبتنى عامين آخرين لنسيتَ وقعَ صوتك !

أنطونيو : إلى الملتقى . وسأغدو ثرثارا بفضل حديثك .

جراتيانو : شكرًا جزيلاً . فالصمتُ لا يُحمد إلا من لسانٍ يؤكل ، أو امرأة عانس !

(يخرج جراشيانو ولورينزو)

أنطونيو : أفى قوله هذا غير الهراء ؟

بسانيو : حديث جراشيانو يحوى دائمًا قدرًا لا نهاية له من الهراء لا يدانيه فيه أىّ رجل فى البندقية بأسرها . فأما ما قد يحويه كلامه من معان فأشبه بحبّتين من القمح فى جوالين من التِّبن ، تبحث عنهما طيلة اليوم حتى تجدهما ، فإن وجدتهما تبيّن لك أنهما لا تستأهلان البحث عنهما !

أنطونيو : حسنا . فلتخبرنى الآن عن السيدة التى تعتزم الحجّ إليها سرّا ، والتى وعدتنى اليوم بالحديث إلىّ فى شأنها .

بسانيو : لا يخفى عليك يا أنطونيو أننى بدّدت معظم ثروتى بالتبذير على نمط معيشة لا تسمح باستمراره مواردى المحدودة . . ولا أشكو الآن من اضطرارى إلى تخفيض إنفاقى الضخم ، وإنما أجد شاغلى الأكبر هو كيف أخلّص نفسى ، وبأسلوب شريف ، من الديون الباهظة التى لا تزال تثقلنى بسبب إسرافى فيما مضى . . فأما معظم ديونى ـ ومعظم مودتى أيضًا ـ فأنا مدين بها لك يا أنطونيو . ومودّتك تسمح لى بأن أكشف لك عن كل خططى ونواياى بصدد كيفية تسديد كافة ديونى .

أنطونيو : أناشدك يابسانيو أن تحيطنى علما بها . فإن كان طابعها الشرف شأن صاحبها دائمًا ، فلتثق فى أن جيبى ، وشخصى ، وأقصى جهدى ، ستكون رهن إشارتك .

بسانيو : كنتُ وأنا بعدُ طالبًا إذا رميتُ بسهم ثم لم أعثر عليه ، أُطلق سهما مثله فى نفس الاتجاه ، وأراقبه مراقبة أدقّ حتى أعرف مكان الآخر ، فإذا مخاطرتى بالإثنين تؤدّى إلى عثورى على الإثنين . فإن كنت أذكر هذه الخبرة من خبرات الطفولة ، فما ذاك إلا لأن ما سأقوله الآن يتّسم بنفس السذاجة

البريئة . . إننى مدين لك بالكثير . وهذا الكثير قد أضعتُه بسبب نزق الشباب . غير أنك إن تفضّلتَ بتصويب سهم آخر فى نفس الاتجاه الذى صوّبت فيه سهمك الأول ، فلاشك عندى فى أنى ، إذ أرصد الهدف بعناية ، إما سأعثر على السهمين معًا ، أو سأردّ الثانى إليك وأظل مدينًا لك بالأول مع اعترافى بفضلك .

أنطونيو : أنت تعرفنى جيدًا . ومع ذلك فها أنت تضيّع وقتك باللف والدوران حول مودّتى ، وتسئ إلىّ بتشكّكك فى أنى سأبذل كل ما فى وسعى لمساعدتك، أكثر مما تسئ إلىّ لو أنك بدّدت ثروتى بأكملها . . فلتقتصر على ذكر ما ينبغى علىّ أن أفعله ، وما ترى أن بإمكانى تقديمه ، وسأقدّمه لك . لتقل إذن .

بسانيو : فى مدينة بلمونت سيدة ورثت ثروة طائلة . . هى جميلة ، بل أجمل من كلمة « الجمال » ذاتها ، وتتحلّى بشمائل خلاّبة . . تلقَّيتُ فيما مضى من عينيها رسائل صامتة . فأما اسمها فبورشيا ، علمًا بأنها لا تقل فى القدر عن بورشيا ابنة كاتو وزوجة بروتس . . العالم بأسره يعرف قدرها هذا ؛ فالرياح الأربع تأتى إليها من كافة الشّطئان بخُطّاب مرموقين . وأما غدائرها الشقراء فتتهدّل على جانبى وجهها كالجُزَّة الذهبية ، مما جعل مقرّها فى بلمونت بمثابة ساحل كولشيس يتردّد عليه الكثيرون من أمثال ياسون فى طلبها [1] . . آه يا أنطونيو ! ثمة إحساس قوىّ لدىّ بأننى لو كنت أملك من المال ما يضمن لى مكانا بين هؤلاء المتنافسين عليها ، لكُتب لى النجاح ، ولكنتُ دون شك فى عداد المحظوظين .

أنطونيو : أنت تعلم أن ثروتى بأسرها هى الآن فى البحر ، وما عندى الآن من المال

(١) ياسون : هو فى الأسطورة الإغريقية قائد فريق من أبطال اليونان أقلعوا فى السفينة « أرجو » لاستعادة الجُزّة الذهبية من ساحل كولشيس على البحر الأسود ، ونجحت مهمتهم بفضل مساعدة ميديا أميرة كولشيس لهم ضد أبيها .

أو السلع ما يكفى لتوفير المبلغ المطلوب . فامض إذن ، وحاول أن تحصل فى البندقية على أكبر قرض ممكن بضمانتى ، حتى تهيئ نفسك للتوجّه إلى بورشيا الحسناء فى بلمونت . . امض لتوّك للاستفسار ، وهو ما سأفعله أنا أيضًا . ولاشك عندى فى أننا سنحصل على القرض ، إما بفضل ضمانتى أو ما يكنّه لى البعض من الودّ .

المشهد الثانى

بلمونت

(تدخل بورشيا مع وصيفتها نيريسّا)

بورشيا : صدّقينى يانيريسا ، لقد أضحى جسمى الضئيل ضجرًا بهذا العالم الكبير.

نيريسا : أصدّقك ياسيدتى الرقيقة لو أن دواعى بؤسك كانت فى كثرة دواعى سعادتك . غير أن التجربة علّمتنى أن التُّخْمة قد تصيب صاحبها بألم لا يقل حدّة عن الألم الذى يصيب الجائع . ولذا فإنه من البيّن أن المرء يكون فى أسعد أحواله إن كان بين بين . فإن كان الثراء الفاحش يعجّل بمقدم الشيخوخة ، فإن التوسّط بين الثراء والفقر يطيل الأعمار .

بورشيا : حِكَم جميلةٌ أحسنتِ التعبير عنها .

نيريسا : هى أحسن لو التزم بعض الناس بها .

بورشيا : لو كان صُنع الخير فى سهولة معرفة الخير لكان المُصَلَّى الصغير بمثابة الكنيسة الضخمة ، وأكواخ المساكين فى مصاف قصور الأمراء .. صحيح أن خير الوعّاظ من ألزم نفسه بمواعظه ، غير أنى أجد من الأسهل علىّ أن أبيّن لعشرين شخصًا سبل الخير ، من أن أكون واحدًا من هؤلاء العشرين فأسير فى السبيل الذى نصحتُهم بانتهاجه . . قد يسنّ العقلُ القوانين للدم ، غير أن المزاج الحامى يقفز فيتخطى القانون البارد ، كما يفعل الأرنب الجبلى فى الربيع ، والشباب الطائش فى ربيع العمر ، إذ يقفزان فوق حبائل النصائح الحكيمة التى ينصبها الشيوخ الكسيحون . بيد أن مثل هذه النصائح لن تساعدنى على اختيار زوج لى . ربّاه ! ما أثقل كلمة « الاختيار » على قلبى ! فلا أنا حرّة فى اختيار من رضيتُه لنفسى ، ولا فى رفض من لا أطيقه . إذ هكذا باتت إرادة فتاة على قيد الحياة خاضعة لإرادة أبيها المتوفّى . . ألا ترين معى يانيريسا أنه من المؤلم حقًا أن أُحرم من حق اختيار من أريد قبوله ، أو رفض من أريد رفضه ؟

نيريسا : قد كان أبوك دَوْما رجلاً فاضلاً . والفضلاء ساعة احتضارهم ينير الإلهامُ بصائرهم . ولذا فإنه لاشك فى أن القُرعة التى ابتدعها فى هذه الصناديق الثلاثة من الذهب والفضة والرصاص ، بحيث ينالك زوجة له من يقع اختياره على صندوق معين ، لن ينجح بصددها إلا من يحبك حبًا حقيقيًا . . ولكن ، خبرينى عن حقيقة مشاعرك تجاه أولئك الأمراء الذين وصلوا بالفعل إلى بابك يطلبون يدك .

بورشيا : أذكرى لى أسماءهم واحدًا إثر واحد فأصفه لك ، ومن وصفى له سيكون بوسعك أن تخمّنى مشاعرى نحوه .

نيريسا : هناك أولا ذلك الأمير من نابولى .

بورشيا : أجل . ذلك الذى لا يَفْضُلُ عقلُه فى واقع الأمر عقلَ المُهْر الصغير . فهو لا يتكلم إلا عن حصانه ، ويحسب من أعظم فَضائله قدرتَه على تركيب حدوة له بنفسه ، حتى لكأنما حملت به السيدة والدته من حدّاد .

نيريسا : وهناك الأمير الإقطاعى .

بورشيا : لا يعرف وجهه غير العبوس ، فكأنما لسان حاله يقول : « إن لم تختارينى فلا يهمنى أىّ إنسان تختارين » . . يسمع النكات فلا يبتسم ، ولو طال به العمر لأضحى كالفيلسوف الباكى [1] ما دام قد اختار فى شبابه الحزن

(١) هو الفيلسوف الإغريقى هرقليطس الإفسوسى .

الذى لا يناسب سنّه . . إنى لأفضّل أن أتزوج من جمجمة فى فمها عَظْم على أن أقترن بأىّ من هذين الرجلين ، وقانى الله شرّهما .

نيريسا : فما قولك فى النبيل الفرنسى ، مسيو لوبون ؟

بورشيا : ما دام من خلق الله فلابدّ أن نفترض أنه إنسان . . أنا أعلم أن السخرية رذيلة . غير أن هذا الرجل . . آخ ! لديه حصان أفضل من حصان أمير نابولى ، ووجه أشدّ عبوسا من وجه الأمير الإقطاعى . . هو كلُّ الرجال دون أن يكون رجلاً بعينه . إن صدح الطير بالغناء شرع لتوّه يرقص ، وإن لمح ظلّه شهر سيفه ليبارزه . . ولو أنى تزوجته لظننت أن لى عشرين زوجًا . إن احتقرنى غفرت له احتقاره ، غير أنه إن هام بحبى لما كان بمقدورى أن أبادله حبًا بحب .

نيريسا : فما قولك فى البارون الإنجليزى الشاب فالكونبريدج ؟

بورشيا : تعلمين أنى لا أكلمه لأنه لا يفهم لغتى ولا أفهم لغته . فهو لا يتحدث اللاتينية أو الفرنسية أو الإيطالية ، وبوسعك أن تقسمى فى المحكمة وأنت آمنة أن إنجليزيتى لا قدر لها ولا قيمة . . مظهره لا غبار عليه ، غير أنه ما من أحد ، للأسف ، بمقدوره أن يحادث دمية . . ما أغربه من زىّ يرتديه ! أحسبه قد اشترى سترته الضيقة من إيطاليا ، وسرواله المنتفخ من فرنسا ، وقبعته من ألمانيا ، واقتبس سلوكه من كل مكان .

نيريسا : فما رأيك فى جاره اللورد الاسكتلندى ؟

بورشيا : أراه بارًا بجاره ، فقد تفضّل عليه الإنجليزى بلكمة على أذنه ، فأقسم الاسكتلندى أن يردّ إليه الجميل متى استطاع إلى ذلك سبيلاً . وأظن أن الفرنسى تلقّى من الإنجليزى لكمة مماثلة ، فما فعل غير أن تعهّد بردّها إليه .

نيريسا : وما فكرتك عن الشاب الألمانى ، ابن شقيق دوق سكسونيا ؟

بورشيا : فكرتى عنه أنه فظيع فى الصباح قبل أن يسكر ، وفظيع جدًا وقت العصر حين يسكر . هو فى خير حالاته أقل من إنسان ، وفى شر حالاته شبيه

بالحيوان . وإنى لآمل مهما تأزّمت الأمور معى أن أتمكن من أن أنجو بنفسى من براثنه .

نيريسا : لو أنه رضى بالاختيار بين الصناديق ، واختار الصندوق الصحيح ، لكان رفضك إياه رفضًا لتنفيذ وصية أبيك .

بورشيا : ولهذا السبب ، وخشية أن يقع المحظور ، أناشدك أن تضعى كأسا مترعة من نبيذ الراين فوق صندوق خاسر . فأنا واثقة من أنه لو كان الشيطان داخل الصندوق ، وإغراء النبيذ خارجه ، لاختار النبيذ . وإنى لعلى استعداد يانيريسا أن أُقدم على أية فعلة غير الزواج من إسفنجة .

نيريسا : ليطمئن بالك ياسيدى فلن تضطرى إلى الزواج بأى من هؤلاء النبلاء . لقد أحاطونى علما بنواياهم ، وهى أن يعودوا إلى أوطانهم ، وألا يزعجوك بمزيد من الإلحاح ، ما لم يكن ثمة سبيل إلى نيلك غير السبيل الذى فرضه والدك ، وهو الاختيار بين الصناديق .

بورشيا : لو أنى عشتُ حتى بلغتُ سن سيبيلا [1] ، لفضّلت أن أموت وأنا فى عفّة ديانا [2] على أن أرتضى لنفسى زوجا على غير الطريقة التى أوصى بها أبى . . إنى لسعيدة إذ أرى هذا الجمع من الخطّاب على هذا القدر من التعقل ، إذ ليس من بينهم إلا من سيبهجنى رحيله . وسأدعو الله لهم برحلة آمنة .

نيريسا : هل تذكرين ياسيدتى رجلاً من البندقية ، هو عالم وجندى فى آن واحد ، زارنا أيام كان أبوك حيًا فى رفقة الماركيز مونتفيرا ؟

بورشيا : أجل ، أجل . إنه بسانيو ! . . . أو هكذا أظنه كان يُدعَى .

نيريسا : بالضبط ياسيدتى . إنه من بين كل الرجال الذين رأتهم نيريسا الحمقاء أجدر القوم بسيدة عظيمة .

---

(١) **سيبيلا** : هى فى الأساطير اللاتينية نبيّة وعدها الإله أبولّو بحياة فى طول عدد ذرات الرمل فى قبضة يدها .

(٢) **ديانا** : إلهة العفة فى الأساطير اللاتينية ، وتقابلها أرتيميس فى الأساطير الإغريقية .

بورشيا : أذكره جيدًا ، وأذكره جديرًا بمديحك .

(يدخل خـادم)

ما الخبر ؟

الخـادم : الغرباء الأربعة يامولاتى يلتمسون مقابلتك لتوديعك . وقد وصل رسول من شخص خامس هو أمير مراكش ، يقول إن مولاه الأمير سيصل الليلة إلى هنا .

بورشيا : لو كان بوسعى أن أرحب بالخامس وأنا فى مثل فرحى بتوديع الأربعة الآخرين ، لأسعدنى مقدمه . أما إن كانت له طباع القديسين وملامح الشياطين ، فإنى لأفضل أن يكون القسَّ الذى أعترف له ، على أن يكون الشخص الذى سأقترن به . . هيا بنا يانيريسا ، ولتمضِ أنتَ أمامنا . .
لا نكاد نودّع خاطبًا إلا جاء آخر يقرع بابنا !

(يخـرجـون)

المشهـد الثـالث

البنـــدقيــــة

(يدخل بسانيو وشايلوك اليهودى)

شايلوك : ثلاثة آلاف دوقية [1]؟ هِممم .

بسانيو : أجل ياسيدى . ولمدة ثلاثة أشهر .

شايلوك : لمدة ثلاثة أشهر . . هممم .

بسانيو : وسيكون أنطونيو كما أخبرتك ضامن سدادها .

شايلوك : وأنطونيو ضامن سدادها . . هممم .

بسانيو : أَبِوُسْعِكَ مساعدتى و إرضاء خاطرى ؟ ما قولك ؟

شايلوك : ثلاثة آلاف دوقية ، لمدة ثلاثة أشهر ، وأنطونيو ضامن سدادها .

بسانيو : ما ردّك ؟

شايلوك : أنطونيو لا بأس به .

بسانيو : أبلغ مسمعك عكس ذلك ؟

شايلوك : لا لا لا لا . أقصد من قولى « لا بأس به » هو أن تفهم أننى أقصد أن

(١) الدوقية : عملة ذهبية فى البندقية . ومعناها الحرفىّ عملة الدوق . وكانت الثلاثة آلاف دوقية تعادل سبعمائة جنيه استرلينى ، وهو ما كان يعتبر مبلغًا ضخمًا فى ذلك الحين .

ضمانته كافية . . غير أن ثروته افتراضيّة . فله سفينة تتجه إلى طرابلس الشام ، وأخرى صوب جزر الهند الغربية ، وعلاوة على ذلك فقد عرفت فى الريالتو [1] أن له ثالثة فى المكسيك ، ورابعة تتجه إلى إنجلترا ، وسفنا أخرى بعثرها هنا وهناك . غير أن السفن ما هى إلا ألواح ، والبحارة ما هم إلا رجال . وثمة فئران فى البر وفئران فى البحر ، ولصوص فى البحر ولصوص فى البر (أعنى القراصنة) . وثمة أيضًا أخطار تتمثل فى الأمواج والرياح والصخور . . ومع ذلك فإن الرجل ضمانته كافية . . ثلاثة آلاف دوقية . أظن أنى قد أقبل الصك .

بسانيو : ثق فى أن بوسعك قبوله .

شايلوك : الثقة مطلوبة . ولكى تتوفر الثقة سأفكر فى الأمر . . هل يمكننى أن أتحدث مع أنطونيو ؟

بسانيو : إن شئت أن تتعشى معنا . . . .

شايلوك : نعم ، حتى أشم رائحة الخنزير وآكل من لحم هذا الحيوان الذى أدخل نبيّكم الناصرىّ الشيطان فيه [2] . . إنى لعلى استعداد لأن أشترى منكم، وأبيع لكم ، وأتحدث إليكم ، وأمشى معكم ، إلى آخره ، غير أنى لست على استعداد لأن آكل معكم ، أو أشرب معكم ، أو أصلى معكم . . ولكن ما أخبار الريالتو ؟ ومن ذا القادم صوبنا ؟

(يدخل أنطونيو)

بسانيو : ها هو السيد أنطونيو .

شايلوك : (جانبا) ما أشبهه بالعشّار الذليل [3] ! إنى أكرهه لأنه مسيحى . غير أنى أكرهه أكثر إذ أراه بسذاجته وتواضعه يُقرض المال بدون فوائد ، فيقلّل مما نجنيه من الرِّبا هنا فى البندقية . فلو أنى تمكنت من استغلال عثرة واحدة منه ، لنفّست عن حقدى القديم عليه . . إنه يكره أمتنا المقدسة ، وحتى هنا ، حيث التجارة فى ذروة نشاطها ، أراه يسخر منى ، ومن صفقاتى ، ومن مهارتى العريقة فى الحصول على ما يدعوه بالربا . فاللعنة على قبيلتى إن أنا غفرتُ له !

بسانيو : شايلوك ! أتسمعنى ؟

شايلوك : أفكر فى وضعى المالى الراهن . وأظننى ـ إن لم تخنّى ذاكرتى ـ غير قادر على أن أوفّر لك على الفور مبلغ الثلاثة آلاف دوقية . . غير أن هذا لا يهم . فطوبال ، وهو عبرانى ثرىّ من قبيلتى ، يمكنه أن يمدّنى بالمال . ولكن، بعدَكَمْ شهر تنوى ردّ المبلغ ؟ (لأنطونيو) طاب يومك ياسيدى الكريم . لقد كان اسم فخامتك على لساننا هذه اللحظة .

أنطونيو : رغم أننى ياشايلوك لا أتقاضى ولا أدفع فائدة حين أقترض أو استدين ، فسأخرق القاعدة لأوفّر لصديقى احتياجاته الملحة . (لبسانيو) هل أخبرته بالمبلغ الذى تريده ؟

شايلوك : نعم ، نعم . ثلاثة آلاف دوقية .

أنطونيو : ولمدة ثلاثة أشهر .

شايلوك : آه . قد نسيت . ثلاثة أشهر . (لبسانيو) قد أخبرتنى بذلك . حسنًا ، هات صكك إذن ، ودعنى أفكر . . ولكن ، إسمع ، أظنك قلت إنك لا تتقاضى ولا تدفع فائدة .

أنطونيو : لا أتعامل مع الفائدة قط .

شايلوك : حين كان يعقوب يرعى غنم خاله لا بان ، وكان يعقوب هذا ـ بفضل تدخّل أمه الحكيمة ـ قد أضحى الوريث الثالث لسيدنا إبراهيم ، أجل، الثالث . . . [1]

---

(١) الريالتو : بورصة البندقية ، وكانت مبنى ضخما يجتمع فيه تجار البندقية وأشرافها مرتين فى اليوم الواحد .

(٢) نبيكم الناصرى : يقصد المسيح ، وهو من بلدة الناصرة . وقد ورد فى إنجيل متى (الإصحاح الثامن) أن المسيح أخرج الشياطين من مجنونَيْن ونقلها إلى قطيع من الخنازير .

(٣) قصته فى إنجيل لوقا (١٨ : ٩ ـ ١٤) ، وفيها مقارنة بين تواضعه وإحساسه بذنبه ، وبين صلَف الفريسىّ (الشبيه بشايلوك) وافتخاره بصومه وتديّنه . . . والعشّار : جامع الضرائب .

(١) سفر التكوين : الإصحاح السابع والعشرون .

أنطونيو : ماذا عن يعقوب ؟ هل كان يتقاضى فائدة ؟

شايلوك : لا . لم يكن يتقاضى فائدة ، أعنى أنه لم يكن يتقاضاها بصورة مباشرة. . . إسمع ما صنعه يعقوب . . حين اتفق هو ولا بان على أن يكون أجر يعقوب كل ما يولد من خراف رقطاء وبلقاء ، ثم حلّت نهاية الخريف وحميت شهوة النعاج إلى الكباش ، وبدأت عملية التزاوج بين هذه الخراف ذات الصوف الغزير ، أخذ هذا الراعى الأريب يعقوب قضبانًا خُضرًا فقشر فيها خطوطًا بيضاء ، وعرضها أثناء عملية التزاوج أمام أعين النعاج القوية فتوحّمت عليها ، وتمخّضت وقت الولادة عن حملان متعددة الألوان دخلت فى ملك يعقوب [١] . . كذا كان سبيله إلى تنمية ثروته ، وهو الرجل المبارك . فالثروة دون ريب نعمة ، ما لم يسرقها الناس .

أنطونيو : لقد كان يعقوب ياسيدى يعمل ويكدّ فى هذا المشروع [٢] ، وما كان باستطاعته أن يحقق النتائج التى حققها إلا بفضل الله وإرادته . . فهل رويت لنا القصة من أجل تبرير الفائدة ، أم أن ذهبك وفضتك خراف ونعاج ؟

شايلوك : لا أدرى . غير أنى أجعلها تتوالد وتتكاثر بنفس السرعة . . ولكن ، لتصغ إلىّ ياسيدى . . .

أنطونيو : (لبسانيو جانبا) لاحظ يابسانيو كيف أن بوسع الشيطان أن يستشهد بالكتاب المقدس لدعم أغراضه . وما الروح الشريرة التى تلوّح باستشهادات دينية إلا كالوغد ذى الابتسامة على خديه ، أو كالتفاحة العفنة ذات المظهر الجميل . . ألا ما أجمل المظهر الخارجى للزور والكذب!

(١) وردت قصة خراف يعقوب ولا بان فى سفر التكوين (الإصحاح ٣٠) . وكان الاعتقاد هو أن الوليد يأتى شبيها بما تقع عليه عينا أمه أثناء علمية التزاوج .

(٢) كان الاعتراض الشائع على الربا هو أنه يحقق الكسب دون جهد مقابل .

شايلوك : ثلاثة آلاف دوقية . . إنه مبلغ كبير . . ولمدة ثلاثة أشهر من اثنى عشر شهرًا . . دعنى أنظر . . وأما الفائدة . .

أنطونيو : أبوسعنا إذن أن نعتمد عليك ياشايلوك ؟

شايلوك : سيدى أنطونيو . مرارًا وتكرارًا عيّرتنى فى الريالتو بسبب ثروتى وما أتقاضاه من الربا . ومع ذلك فقد تحمّلتُ الإهانات فى صبر ، فالصبر شعار قبيلتنا بأسرها . . نعتّنى بالكفر ، وبأنى كلب سفاح ، وبصقت على زيّى اليهودى ، دون ما سبب غير استثمارى لأموالٍ هى ملكى . . حسنا إذن . والآن يبدو وكأنك فى حاجة إلى مساعدتى . . دعنى منك ! تأتينى وتقول : « شايلوك ، نريد مالا » . تقول لى هذا وأنت الذى بصقت لعابك على لحيتى ، ورفستنى رفسك للكلب الضال عند عتبة دارك . . تريد مالا . فما عساى أن أقوله لك ؟ أليس من واجبى أن أقول: « وهل للكلب مال ؟ أيعقل أن يكون بوسع الكلب إقراض ثلاثة آلاف دوقية ؟» أم أن علىّ أن أنحنى لك ، وأن أهمس كالعبد الذليل وبأنفاس متقطعة : « سيدى الكريم ، قد بصقتَ علىّ يوم الأربعاء الماضى ، وركلتنى فى اليوم الفلانى ، ونعتّنى بالكلب تارة أخرى ، ومن أجل كل هذا التعطّف منك ، سأقرضك مالا كثيرًا » ؟

أنطونيو : وما أحسب إلاأنى سأنعتك بهذا مرة أخرى ، وأبصق عليك مرة أخرى ، وأركلك أيضا بقدمى . . فإن أنت أقرضتنى المال فلا تقرضه لى إقراض الصديق للصديق . إذ متى كان الصديق يطالب صديقه بسلالة معدن عقيم ؟ [١] ولكن أقرضها لى إقراضك لعدوّ ، إن هو أفلس طالبتَ بتوقيع العقوبة عليه وأنت مرتاح الصدر .

شايلوك : ما كل هذا الغضب ؟ إننى أريد صداقتك ، وأطمع فى حبك ، وأتناسى الإهانات التى وجّهتَها إلىّ ، وأوفّر لك احتياجاتك الراهنة ، ولا أطالبك

(١) الكلمة اليونانية الدالة على « الفائدة » تعنى أيضًا « النسل » ، وكأن المال يتناسل ويلد شبيها به .

بفلس واحد كفائدة لنقودى ، وأنت لا تريد الإصغاء إلىّ . . إنه إكرام منى لك .

بسانيو : هو عرض كريم .

شايلوك : وسأبرهن على كرم نواياى . . تعال معى إلى محرّر العقود ، ولتوقّع هناك عقدًا غير مشروط ، ولنذكر فيه على سبيل المزاح أنك إن لم تدفع فى الموعد المحدد ، وفى المكان المحدد ، المبلغ أو المبالغ المحددة فى شروط العقد ، كان الجزاء رطلاً لا يزيد ولا ينقص من لحم جسمك البضّ ، أقتطعه وآخذه من أىّ جزء أختاره من جسدك .

أنطونيو : موافق بكل تأكيد . . سأوقع على مثل هذا الصك وأقول إن اليهودى كريم جدًا .

بسانيو : لن توقع على مثل هذا الصك من أجلى . وإنى لأفضل البقاء فى ضائقتى على ارتضائك مثل هذا الشرط .

أنطونيو : لا تخش شيئًا يارجل ، فلن أتخلّف عن الوفاء بالدين . ففى ظرف الشهرين القادمين ، أى قبل حلول أجل الوفاء بالدين بشهر كامل ، أتوقع وصول أرباح هى ثلاثة أضعاف قيمة هذا الصك .

شايلوك : يا أبانا إبراهيم ! أى أناس هؤلاء المسيحيون الذين تدفعهم قسوة معاملاتهم إلى الشك فى نوايا الآخرين ! أرجوك أن تجيب على سؤالى : لو أنه لم يوف بتعهده فى الموعد المحدد ، فما الذى سأكسبه من وراء توقيع الجزاء ؟ إن رطل لحم بشرىّ يؤخذ من جسم إنسان هو أقل قيمة ونفعًا من لحم الضأن والبقر والماعز . . إنى بهذه الصفقة أمدّ يد الصداقة إليه علّنى أحظى برضائه . فإن وافق عليها فبها ، وإلا فالوداع . وأرجوك ، من أجل خاطرى ، ألا تسىء فهمى .

أنطونيو : نعم ياشايلوك ، سأوقّع على الصك .

شايلوك : فلنتقابل بعد قليل إذن لدى محرر العقود . لتصدر إليه التعليمات بشأن هذا الصك الفكاهى . أما عنى فسأمضى لتوّى لإحضار المبلغ ، وأعاين

أحوال منزلى الذى تركته فى حراسة خادم مهمل ، ثم ألحق بك بعد قليل . (يخرج)

أنطونيو : أسرع إذن أيها اليهودى الطيب . . سيتحول اليهودى إلى مسيحى ما دامت الطيبة قد عرفت طريقها إلى قلبه .

بسانيو : لا أطمئن إلى شروط عادلة تصدر عن وغد شرير .

أنطونيو : رويدك يا صاح . فليس بالأمر ما يدعو إلى القلق علىّ . . فقبل شهر من اليوم المحدد ستكون سفنى قد عادت إلىّ . (يخرجان)

الفصــل الثــانى

الفصل الثانى

المشهـد الأول
بلمــونــت

(صوت أبواق ـ يدخل أمير مراكش ، وهو مغربىّ أسمر كل ثيابه بيضاء ، يرافقه ثلاثة أو أربعة من الأتباع . . وتدخل أيضًا بورشيا ونيريسا مع بعض الخدم)

أمير مراكش : لا تكرهينى من أجل لون بشرتى ، ذلك اللون الأسمر الذى كستنى به الشمس الساطعة التى أجاورها ونشأتُ بالقرب منها . . ولْتأتنى بأفضل مخلوق من أبناء الشمال حيث لا يكاد يكون بوسع نار الشمس أن تذيب كتل الجليد ، فيتبارى معى من أجل حبك بفصْد دمائنا ، حتى نرى أىَّ الدماء أشدّ حُمرة ، دمه أم دمى . . ولتعلمى ياسيدتى أن وجهى هذا قد أخاف الشجعان ، كما أُقسم بحبى لك أن أجمل العذارى فى بلادنا قد شُغفن بهذا الوجه حبا . وما أنا على استعداد لأن أستبدل بلونى لونا آخر، ما لم يكن ذلك من أجل أن أحظى باهتمامك أى مليكتى الرقيقة .

بورشـــيا : ثمة اعتبارات أخرى تحكم اختيارى غير تفضيل عينىْ الفتاة لهذا الرجل أو ذاك . فالاقتراع على مصيرى يحرمنى من حق الاختيار الحر. غير أنى أقرّ بأنه لو لم يكن والدى قد فرض علىّ هذا القيد ، ولو لم تكن حكمته قد ألزمتنى بقبول الزواج بمن يظفر بى بالطريقة التى حدّثتك عنها ، لكانت فرصتك أنت ، أيها الأمير الشهير ، عظيمة كفرصة أىٍّ ممن وقعت عليه عيناى من بين من قدموا يخطبون ودّى .

أمير مراكش : لك الشكر منى حتى على هذا الردّ . فرجائى أن تقودينى إلى مكان الصناديق حتى أجرّب حظى . وقسما بهذا السيف الذى قتل شاه إيران، وذبح أميرا فارسيا كان قد انتصر على السلطان سليمان فى ثلاث معارك ، إنى لعلى استعداد من أجل أن أفوز بك ياسيدتى لأن أحملق فى عينى أشد الناس صرامة حتى يردّ طَرْفَه ، وأن أتحدّى أجرأ الناس على ظهر البسيطة ، وأن أنتزع من الدبة صغارها الرُّضَّع ، وأن أهزأ بالأسد وهو يزأر فى طلب فريسته . غير أن ما أراه مؤسفا حقا هو أنه لو تراهن هرقل مع خادمه ليكاس على أن تحدد رمية النّرد أيهما أعظم ، فقد يكون الحظ فى جانب الطرف الأضعف . وهو بالضبط ما حدث ، مما أثار فى هرقل غضبا فى مثل غضبى لو أن إلهة الحظ العمياء أضلّتنى وأنجحت مسعى رجل آخر أقل جدارة منى ، وقضت علىّ بذلك أن أموت كمدا .

بورشيا : لا مفر أمامك من المخاطرة . وعليك إما أن تحجم عن الاختيار ، أو أن تقسم قبله أنك إن فشلت فلن تفاتح سيدة بعدها فى أمر الزواج . . فخذ حذرك إذن .

أمير مراكش : قد قبلت . فهيّا اصحبينى إلى حيث أجرّب حظى .

بورشيا : ستتوجه أولاً إلى المحراب من أجل القسم ، ثم تجرّب حظك بعد العشاء .

أمير مراكش : وليكن الحظ معى فأنعم بالهناء ، وإلا كنت بين الناس طرّا أحراهم بالشقاء !

(صوت أبواق ـ يخرجون)

الفصل الثانى

المشهد الثانى

البندقية

(يدخل لانسلوت جوبّو القروىّ وحده)

لانسلوت : ضميرى سيقرّنى بكل تأكيد على فكرة الهرب من سيدى اليهودى . . الشيطان يغرينى ويهمس فى أذنى قائلا : « جوبو ، لانسلوت جوبو ، أى لانسلوت الطيب » ، أو « أى جوبو الطيب » ، أو « أى لانسلوت جوبو الطيب ، أطلق ساقيك للريح ، تحرّك ، إهرب » . . وضميرى يقول : « لا . خذ حذرك أى لانسلوت الأمين ، خذ حذرك أى جوبو الأمين » أو ، (كما سبق القول) ، « أى لانسلوت جوبو الأمين ، لا تهرب ؛ إصرف النظر عن فكرة إطلاق ساقيك للريح » . أما أشجع الشياطين فيحثنى عل الذهاب ، ويقول : « هيّا ! » ، ويقول : «إنطلق! » ، ويقول : « تشجّع بحق السماء ولُذْ بالفرار » . أما ضميرى فيتعلّق برقبة قلبى ويقول لى فى حكمة عظيمة : « حيث أنك ياصديقى الأمين لانسلوت ابن رجل أمين ، أو بالأحرى ، ابن امرأة أمينة ، (فقد كانت لدى أبى ، فى الحقيقة ، بعض النزعات والاتجاهات والميول المريبة) ، يقول ضميرى هذا : « إلزم مكانك يالانسلوت ولا تتحرك !» . فيقول الشيطان : « بل تحرّك » ! ، فيقول ضميرى : « لا تتحرك ! » . عندئذ أقول أنا : « أيها الضمير ، نصيحتك جيدة » ، وأقول : « أيها الشيطان ، نصيحتك جيدة » . ذلك أننى إن أطعت ضميرى بقيت مع

سيدى اليهودي ، وهو ـ والعياذ بالله ـ كالشيطان نفسه . وإن أنا هربت من اليهودى أكون قد أطعت الشيطان ، وهو ـ والعياذ بالله ـ الشيطان بعينه . فالمؤكد أن اليهودى قد تقمّصه الشيطان . وإنى لأشعر فى قرارة ضميرى بأنها قسوة من ضميرى أن ينصحنى بالبقاء مع اليهودى . أما نصيحة الشيطان فأرقّ وأعطف . . لذا فإنى سأهرب أيها الشيطان . سأطلق ساقىّ للريح كما أمرتنى وأهرب .

(يدخل جوبو العجوز حاملاً سلّة)

جـوبـو : سيدى الشاب ، أنت ، أرجوك ، أين الطريق إلى منزل السيد اليهودى ؟

لانسلوت : (جانبا) يا إلهى ! إنه أبى ! أبى من لحمى ودمى ، قد ذهب بصره إلا قليلاً ، إلا قليلاً جدًا ، فهو لا يعرفنى . . سأحاول مداعبته .

جـوبـو : سيدى الشاب ، أرجوك ، دلّنى على الطريق إلى السيد اليهودى .

لانسلوت : عند الناصية القادمة فلتتجه إلى اليمين ، وعند الناصية التالية فلتتجه إلى الشمال ، وعند الناصية بعدها لا تتجه إلى اليمين أو إلى الشمال ، بل اتجه بطريق غير مباشر إلى منزل اليهودى .

جـوبـو : بحق القديسين المباركين إنه لإرشاد يصعب علىّ الاستفادة منه ! هل بوسعك أن تخبرنى ما إذا كان هناك شخص يسكن معه ويدعى لانسلوت لا يزال معه أم تركه ؟

لانسلوت : أتعنى السيد لانسلوت الشاب ؟ (جانبًا) راقبونى الآن فسأجعل عينيه تذرفان الدمع . أتعنى السيد لانسلوت الشاب ؟

جـوبـو : إنه ليس « سيدا » ياسيدى ، وإنما هو ابن رجل فقير . ولكن صدقنى إن قلت لك إن أباه رجل أمين ، شديد الفقر ، ولكنه ـ ولله الحمد ـ ميسور الحال .

لانسلوت : ليكن أباه ما شئت ، ولكننا نتحدث الآن عن السيد لانسلوت الشاب .

جـوبـو : دع فخامتك من « السيد » ولتسمّه لانسلوت .

لانسلوت : لهذا أسألك أيها العجوز ، ولهذا أناشدك أن تخبرنى عما إذا كنت تتحدث عن السيد لانسلوت الشاب .

جـوبـو : بعد إذنك ياسيدى ، إنما أتحدث عن لانسلوت .

لانسلوت : فأنت إذن تعنى السيد لانسلوت . . لا تتحدث ياعمى عن السيد لانسلوت ، فإن ذلك السيد الشاب قد قضت المقادير ، وشاءت إرادة السماء ، وحانت الآجال ، (وغير ذلك مما يردّده أهل العلم من تعابير) ، فقضى نحبه ، أو ، كما يقول التعبير الدارج ، توفّى إلى رحمة الله .

جـوبـو : لا سمح الله ! لقد كان الفتى سند شيخوختى ودعامتها .

لانسلوت : فهل ترى هيئتى إذن هيئة هراوة أو عمود أو عصا أو دعامة ؟ هل تعرفنى يا أبت ؟

جـوبـو : واأسفاه ! لا أعرفك أيها السيد الشاب ، غير أنى أناشدك أن تخبرنى عما إذا كان ابنى ـ طيّب الله ثراه ـ حيا أم ميتًا .

لانسلوت : ألا تعرفنى يا أبى ؟

جـوبـو : نظرى ضعيف للأسف ياسيدى ولا يسمح لى بالتعرف عليك .

لانسلوت : وحتى لو كان نظرك قويا فهناك احتمال ألا تعرفنى . فكما يقال فى الأمثال : الحصيف من عرف ابنه . . حسنا أيها الشيخ ، سأزوّدك بالأخبار عن ابنك . (يركع) امنحنى بركتك . فالحقيقة لابد أن تنكشف فى النهاية ، ولابد للجريمة أن ينفضح أمرها . . قد لا ينفضح أمر ابن إنسان لبعض الوقت . غير أن الحقيقة لابد أن تنجلى .

جـوبـو : أناشـدك ياسيدى أن تنهـض . وأنا واثـق من أنـك لسـت ابنـى لانسلوت .

لانسلوت : لنتوقف عن هذا العبث ولتمنحنى بركتك . فأنا ابنك لانسلوت الذى كان ، وولدك الذى هو كائن ، وصبيّك الذى سيكون .

جـوبـو : لا يمكننى أن أصدّق أنك ابنى .

لانسلوت : لا أدرى كيف أفهم هذه القولة منك . غير أنى على أى الأحوال لانسلوت خادم اليهودى ، وواثق من أن زوجتك مارجورى هى أمى .

جوبـو : إسمها هو مارجورى حقا . وإنى لأشهد أنك لو كنت لانسلوت فأنت ابنى من لحمى ودمى . . يا إلهى ! ما أكثف لحيتك [١] ! على ذقنك من الشعر أكثر مما لدى حصانى دوبين منه على ذيله .

لانسلوت : يبدو إذن أن شعر ذيل دوبين ينمو من طويل إلى قصير ! وإنى لواثق من أنه حين شاهدته آخر مرة كان لديه من الشعر على ذيله أكثر مما لدىّ منه على وجهى .

جوبـو : يا إلهى ! لشدّ ما تغيّرت ! خبّرنى : هل أنت وسيدك على وفاق ؟ لقد أحضرتُ له هدية معى . فهل أنتما على وفاق ؟

لانسلوت : نعم ، نعم . غير أنى وقد قرّ قرارى على الهرب منه ، فلن يقرّ لى قرار حتى تفصل بينى وبينه مسافة . . إن سيدى يهودى قحّ . . وتريد إعطاءه هدية ؟! أعطه حبلا يشنق به نفسه ! إنى أتضوّر جوعا فى خدمته، وبوسعك أن تعدّ أصابعى بضلوعى . . [٢] غير أنى سعيد بحضورك يا أبى . . قدّم هديتك نيابة عنى إلى سيّدٍ يدعى بسانيو . إنه يوزّع على خدمه ملابس جديدة جميلة . فإن لم ألتحق بخدمته فسأهرب من هنا إلى أقصى أرض الله . . آه ! يالها من مصادفة سعيدة ! ها هو الرجل قادمًا ! كلّمه يا أبى بخصوصى . ولأنقلب يهوديا إن مكثتُ فى خدمة اليهودى .

(يدخل بسانيو وليوناردو مع تابع أو اثنين)

بسانيو : يمكنك أن تفعل هذا ، شريطة أن تسرع حتى يكون العشاء جاهزًا فى الساعة الخامسة على أكثر تقدير . أوصلْ هذه الخطابات ، وأصدر

(١) الواضح أن جوبو قد أمسك خطأ بشعر قفا ابنه .
(٢) يقصد « أن تعدّ ضلوعى بأصابعك » .

الأمر بصنع الحلل ، واطلب من جراشيانو أن يحضر فورًا إلى مسكنى .

(يخرج تابع من أتباعه)

لانسلوت : كلّمه يا أبى .

جوبـو : بارك الله فيك ياسيدى .

بسانيو : ألف شكر . . أتريد شيئًا منى ؟

جوبـو : هذا ابنى ياسيدى . . فتى فقير .

لانسلوت : لست فتى فقيرا ياسيدى ، وإنما أنا خادم اليهودى الثرىّ ، وأرغب ياسيدى ـ كما سيوضح لكم والدى ـ فى أن ــــــ

جوبـو : أو كما يقول البعض ، لديه تلطّع [١] شديد إلى أن يلتحق بخدمة ــــــ

لانسلوت : واختصارًا فإنى خادم لليهودى، ولدىّ رغبة ، كما سيوضّح لك والدى ، فى أن ــــــ

جوبـو : ولا تؤاخذنى إن قلت إنه وسيده نادرًا ما يتفقان .

لانسلوت : واختصارًا ، فالحق أن اليهودى قد أساء إلىّ على نحو يدفعنى (كما سيوضّح لك والدى باعتباره رجلا مسنّا) إلى أن ــــ

جوبـو : ومعى هنا طبق من الحمام أودّ إهداءه إلى فخامتك . . ورجائى هو ــــ

لانسلوت : واختصارًا فإن الأمر يتعلّق علىّ [٢]، كما سيوضّح لفخامتك هذا الرجل المسنّ الأمين . والحقيقة أن أبى بالرغم من سنّه ، ومن فقره ، فهو ــــ

بسانيو : ليتحدّث أحدكما نيابة عن الإثنين . . ما الموضوع ؟

لانسلوت : أريد أن ألتحق بخدمتك ياسيدى .

(١) يقصد : تطلّع .
(٢) يقصد : يتعلق بى .

جـوبـو : وهذا هو جَهْور [1] الموضوع ياسيدى .

بسانيـو : إنى أعرفك جيدًا . وقد أجبتُ طلبك . لقد حدّثنى سيدك شايلوك اليوم وأشاد بك ، وإن كنتُ غير واثق من أنه من مصلحتك أن تترك خدمة يهودى غنى لتلتحق بخدمة سيد فى مثل فقرى .

لانسلوت : إن كان المثل القديم يقول « فى فضل الله الكفاية » ، فهو موزّع بالعدل بينك ياسيدى وبين سيد اليهودى : لديك فضل الله ، ولديه الكفاية .

بسانيـو : أحسنت القول . . (لجوبو) إذهب مع ابنك . (للانسلوت) ودّع سيدك القديم واسأل عن مكان سكنى . (لأحد أتباعه) أعطه كسوة أجمل من كسوة زملائه . هيا !

لانسلوت : لندخل يا أبتِ . . كنتَ تحسب أنى لن أوفّق فى العثور على عمل ؟ أو أن لسانى عاجز عن الإفصاح ؟ (ينظر إلى كفّه) حسنًا ! ليس فى إيطاليا كلها رجل تبشّر خطوط كفه بحظّ أعظم مما تبشر به خطوط كفّى ! هَهْ ؟ هذا هو خط الحياة . بسيط غير معقد . . يبشرنى بحفنة صغيرة من الزوجات . للأسف الشديد ، مجرد خمس عشرة زوجة ، وهذا لا يكفى . . إحدى عشرة أرملة ، وتسع أبكار . . عدد لا يكفى رجلاً واحدًا . . وسأنجو من الغرق ثلاث مرات ، وأواجه خطرًا يهدد حياتى من جراء السقوط من فوق سرير وثير . . وهنا مغامرات بسيطة . حسنًا! لئن كان الحظ امرأة فلابد أنها فتاة طيبة تلك التى دبّرت مستقبلى . . هيا بنا يا أبتِ . وسأودّع اليهودى فى مثل لمح البصر .

(يخرج لانسلوت وجوبو)

بسانيـو : أرجوك ياعزيزى ليوناردو أن تهتم بهذا الأمر ، وأن تعود إلىّ مسرعا بعد الفراغ من شراء هذه السلع وترتيبها على ظهر السفينة . فلدىّ هذا المساء مأدبة دعوتُ إليها خيرة معارفى . فامض إذن وأسرع .

---

(١) يقصد : جوهر .

ليونـاردو : سأبذل أقصى جهدى حتى ألبى طلبك .

(يدخل جراشيانو)

جراشيانو : أين سيدك ؟

ليونـاردو : هناك يتمشى يا سيدى . (يخرج)

جراشيانو : سنيور بسانيو !

بســانيو : جراشيانو ؟

جراشيانو : عندى طلب .

بســانيو : قد أجبتك إليه .

جراشيانو : أرجوك ألا ترفضه . أريد الذهاب معك إلى بلمونت .

بســانيو : فستذهب إذن . ولكن ، إسمع منى ياجراشيانو . . إنك طائش أكثر مما ينبغى ، صريح أكثر مما ينبغى ، عالى الصوت أكثر مما ينبغى . وهى صفات لا تبدو عيوبا فى أعين رجال مجموعتنا ، بل ونستملحها فيك . غير أنها فى أىّ جمع آخر لا يعرفك قد تبدو مستهجنة . فرجائى أن تبذل بعض الجهد لكبح جماح طيشك بشىء من الرزانة ، حتى لا يُفسد مسلكُك النزق فكرة الناس عنى فى المكان الذى أقصده ، فتتحطم آمالى .

جراشيانو : إسمعنى ياسنيور بسانيو . لا تأتمنّى بعد اليوم قط إن أنا لم أكلّل بالرزانة مسلكى ، وبالاحترام حديثى ، وإن أنا لم أقلع عن السباب (إلاّ من حين إلى آخر) ، وإن أنا لم أحمل فى جيبى كتب الصلوات ، وإن لم تكن نظراتى وديعة كسيرة ، بل وإن أنا لم أُخْفِ عينىّ هكذا تحت قبعتى أثناء تلاوة الحمد ، متنهّدا وقائلاً « آمين » ، وإن أنا لم أُراعِ كافة ما يقتضيه الأدب ، مراعاة المدرَّب على السلوك الحميد من أجل إرضاء جدّته !

بســانيو : حسنا . سنرى إذن مسلكك .

جراشيانو : مع استثناء هذه الليلة . فرجائى ألا تحكم علىّ من مسلكى هذا المساء .

بســـانيو : لن أفعل . بل سأستاء لو أنك أحسنت السلوك هذا المساء ، وأناشدك أن تُقدم على أجرأ صنوف اللهو والمرح التى يريدها مَن دَعَوْتُهم من الأصدقاء . . إلى اللقاء إذن ، فلدىّ ما أريد إنجازه .

جراشيانو : وعلىّ أن أذهب إلى لورينزو وسائر الجمع . وسنأتيك وقت العشاء .

(يخرجـان)

المشهـد الثالث

البنـــدقيـــة

(تدخل جيسيكا ولانسلوت)

جيسيــكا : يؤسفنى أن تترك خدمة أبى على هذا النحو . . فبيتنا ـ وهو الجحيم بعينه ـ كنتَ فيه شيطانا مرحا يخفّف بعض الشىء من عناء الملل . ولكن ، وداعًا . وهاكَ دوقية . . واسمع يالانسلوت : ستقابل الليلة وقت العشاء لورينزو ، وهو ضيف من ضيوف سيدك الجديد . سلّمه هذا الخطاب خفية . . وداعا إذن ، فلا أحب أن يرانى والدى وأنا أتحدث معك .

لانسلوت : وداعا . . دموعى تفصح عما يعجز لسانى عن التعبير عنه . أيتها الوثنية رائعة الحسن ، أيتها اليهودية بالغة الرقة ، أراهنك على أن رجلاً مسيحيا داهية سينصب شباكه لاصطيادك . . ولكن وداعًا . فهذه الدموع الحمقاء تخمد بعض الشىء من رجولتى . . (يخرج)

جيسيــكا : وداعا أى لانسلوت الطيب . . يالها من خطيئة فظيعة إذ أشعر بالخجل من أن أكون ابنة أبى ! ومع ذلك ، فرغم أنى ابنته من صلبه ، فلست ابنته فى السلوك . . آه يالورينزو ! لو أنك أوفيت بوعدك فسأتخلص من هذه المشاعر المتصارعة القوية ، بأن أعتنق المسيحية وأصبح زوجتك الوفية .

المشهد الرابع
البندقية

(يدخل جراشيانو ولورينزو وساليريو وسولانيو)

لورينزو : ستتسلّل خفية وقت العشاء ، ونتنكّر بمسكنى فى زىّ مختلف ، ثم نعود فى خلال ساعة .

جراشيانو : لم نتخذ بعد الاستعدادات المناسبة .

ساليريو : ولم نناقش بعد موضوع حملة المشاعل .

سولانيو : سيكون الأمر كله بشعا لو لم نعدّ له بعناية ، ويضحى من الأفضل لو لم نكن قد شرعنا فيه .

لورينزو : لم تتجاوز الساعة الرابعة بعد ، وأمامنا ساعتان كافيتان للاستعداد .

(يدخل لانسلوت يحمل خطابا)

صديقى لانسلوت ! ما الأخبار ؟

لانسلوت : لو تكرمت بفتح هذا الخطاب فستعلم الأخبار منه .

لورينزو : أعرف خطّ من هذا . . خط جميل كتبته يد جميلة هى أكثر بياضا من الورقة التى استخدمتها .

جراشيانو : أقسم أنها أخبار غرامية !

لانسلوت : بعد إذنك ياسيدى .

لورينزو : إلى أين ؟

لانسلوت : أمضى فأدعو سيدى القديم اليهودى إلى العشاء هذا المساء مع سيدى الجديد المسيحى .

لورينزو : انتظر . خذ هذا مكافأة لك ، واخبر جيسيكا الرقيقة أنى سأوفى بوعدى . خبّرها بذلك على انفراد . (يخرج لانسلوت) . هيا انصرفوا أيها السادة لتعدّوا للحفلة التنكرية هذا المساء . وقد اتفقت مع شخص ما ليكون حامل مشعلى .

ساليريو : سأمضى على الفور للإعداد لها .

سولانيو : وأنا أيضًا .

لورينزو : قابلانى وجراشيانو فى مسكنه بعد ساعة من الآن .

ساليريو : سنفعل ذلك . (يخرج ساليريو وسولانيو) .

جراشيانو : أليست هذه الرسالة من جيسيكا الجميلة ؟

لورينزو : علىّ أن أحيطك بالموضوع كله . . لقد كتبت إلىّ بتفاصيل خطّة اصطحابى لها من منزل والدها ، وبما ستأخذه من ذهب ومجوهرات ، وحلّة الغلام التى أعدّتها لنفسها . . أراهنك على أنه لو سمح لوالدها بدخول الجنة لكان ذلك من أجل ابنته الرقيقة . وما أحسب سوء الحظ سيتربص بها فى الطريق إلا بحجة أنها ابنة يهودى كافر . هيا معى . واقرأ هذا الخطاب ونحن فى الطريق . واعلم أن جيسيكا الحسناء هى التى ستكون حاملة مشعلى .

(يخرجان)

المشهد الخامس
البندقيـة ـ أمام دار شايلوك

(يدخل شايلوك اليهودى والقروى لانسلوت ، خادمه السابق)

شـايلوك : حسنا . . سترى بنفسك ، وستحكم عيناك أىّ فارق بين شايلوك العجوز وبسانيو . (ينادى) جيسيكا ! . . لن تجد عنده من الطعام ما يشبع نهمك كما كنت تجد هنا . (ينادى) جيسيكا ! . ولا من النوم والشخير وما تُبلى من الثياب . . (ينادى) جيسيكا !

لانسلوت : (ينادى) جيسيكا !

شـايلوك : من أمرك بأن تنادى ؟ أنا لم آمرك بأن تنادى .

لانسلوت : كان من عادة سيادتك أن توبخنى إذ لا أفعل شيئًا ما لم تأمرنى به .

(تدخل جيسيكا)

جيسيكا : أتنادينى ؟ ماذا تريد ؟

شـايلوك : أنا مدعوّ إلى العشاء ياجيسيكا . . هاكِ مفاتيحى . . ولكن ، ما الذى يضطرنى إلى الذهاب ؟ إنهم لم يدعونى عن حبّ لى ، وإنما لتملّقى . ومع ذلك فسأمضى إليهم ، عن بُغض لهم ، ولأطعم من مائدة المسيحى المبذّر . . جيسيكا ! لتعتنى بالمنزل يابنيتى . . إنى لشديد العزوف عن الذهاب . فثمة أمر شرير يُدَبّر لإزعاجى ، بدليل منامى الليلة الماضية الذى رأيت فيه أكياس أموالى .

لانسلوت : أرجوك أن تذهب ياسيدى . فسيدى الشاب ينتظر وَصْلك [١] .

شـايلوك : وأنا أيضا أنتظر وَصْلَه !

لانسلوت : وقد اتفقوا سويا على . . لن أفشى السر فأقول إنك ستشهد حفلاً تنكريا ، غير أنك إن رأيت حفلاً تنكريًا فاعلم أنه لم يكن من قبيل المصادفة أن ينزف أنفى يوم الإثنين التالى لعيد الفصح الماضى فى السادسة صباحًا ، وهو اليوم الذى صادف ذلك العام أن يكون يوم الأربعاء ، أول أيام صوم الأربعين ، فى العام الرابع من ساعة العصر [٢] !

شـايلوك : أستكون هناك إذن حفلة تنكرية ؟ إسمعى ياجيسيكا . أحكمى غلق أبوابى . فإن سمعتِ صوت الطبل ، وصوت المزمار المزعج الحاد يعزف عليه زمّار قد التوى من النفخ عنقه ، فلا تتسلّقى عندئذ إلى النوافذ ، ولا تطلّى برأسك على الطريق العام حتى تتفرّجى على مسيحيين حمقى يلبسون أقنعة ملوّنة . وإنما أريدك أن تصمّى آذان دارى ، أعنى نوافذها ، فلا تدخل أصوات اللهو الأجوف بيتى الوقور . . أقسم بعصا يعقوب أنى لا رغبة عندى فى التوجه إلى حفل هذا المساء . . غير أنى سأذهب . إمض قبلى يا صاح وخبّرهم أنى سأحضر .

لانسلوت : سأمضى قبلك ياسيدى . (جانبا لجيسيكا) تطلّعى من النافذة ياسيدتى رغم كل ما قال . وسيأتيك فتى مسيحى ، خليق بإعجاب ابنة اليهودى . (يخرج)

شـايلوك : ما الذى كان يقوله لك ذلك الأبله من نسل هاجر ؟

جيسيكا : قال « الوداع ياسيدتى » ، لا أكثر ولا أقل .

شـايلوك : قد يكون هذا الرجل التافه طيب القلب . غير أنه شره فى الأكل ، بطىء فى كسب الرزق بطء القوقع ، ينام بالنهار أطول مما ينام السِّنَّوْر . . وإذ

---

(١) يقصد : وصولك .
(٢) مجرد لغو لا معنى له .

ليس لذكر النحل مكان فى خليتى ، فإنى أتخلّى عنه ، وأتخلى عنه لامرىء آمل أن يساعده لانسلوت فى تبديد ما اقترضه من أموال . . فلتدخلى الدار إذن ياجيسيكا . . قد أغيّر رأيى فأعود على الفور . . أطيعى أمرى واغلقى الأبواب بعد دخولك . . قديما قالوا : « أحرس المال يحرسك » . وهو مثل عظيم ، يستنير به العقل الحكيم . (يخرج)

جيسيكا : وداعا ! فإن كان الحظ مواتيا ، فقدتَ ابنةً لك وفقدتُ أبًا ليا ! (تخرج)

الفصل الثانى

المشهد السادس

نفس المنظر

(يدخل جراشيانو وساليريو متنكّرين)

جراشيانو : هذه هى السقيفة التى طلب منا لورينزو أن ننتظره تحتها .

ساليريو : لقد تأخر عن موعده .

جراشيانو : إنه لأمر غريب أن يتأخر عن موعده . فمن عادة العشاق أن يصلوا قبل الموعد .

ساليريو : ومن عادة حمائم فينوس أن يكون طيرانها لمباركة عهد حب جديد أسرع عشر مرات من طيرانها للحفاظ على عهد زواج قديم !

جراشيانو : وهو الحال دائماً . إذ من ذا الذى ينهض من المأدبة وشهيته على حالها وقت جلوسه إليها ؟ وأين هو الحصان الذى يعود أدراجه فى نفس الطريق المملة بنفس التحمّس الذى كان يعدو به أول مرة ؟ ألا إن تحمّسنا فى البحث عن الشىء ، أى شىء ، لأعظم كثيراً من استمتاعنا به بعد تملّكه . إن السفينة المزيّنة لتبحر من مرفئها وكأنها الإبن الأصغر المدلّل المترف ، تحتضنها وتعانقها الريح المتقلّبة ، ثم تعود عودة الإبن الضال وقد تلفت أضلاعها وتمزقت أشرعتها ، هزيلة محطّمة فقيرة بفعل هذه الريح المتقلّبة ذاتها .

(يدخل لورينزو)

ساليريو : ها هو لورينزو قد أقبل . . سنواصل الحديث فيما بعد .

لورينـزو : معذرة أى صديقى العزيزين لهذا التأخير منى . فمشاغلى هى المسئولة لا أنا عن اضطراركما إلى الانتظار . ولكما علىّ أن أصبر طويلاً فى انتظاركما حين تعتزمان اختطاف زوجتين لكما . . تقدّما . فهنا يقطن أبى اليهودى . (ينادى) من بالداخل ؟

(تظهر جيسيكا فى شرفة علوية وهى ترتدى زىّ غلام)

جيسيكا : من أنت ؟ خبّرنى حتى أتيقّن رغم ثقتى من تمييز صوتك .

لورينـزو : لورينزو ، وحبيبك .

جيسيكا : لورينزو دون شك ، وحبيبى بكل تأكيد . إذ من ذا الذى أحبه أكثر من حبى إياك ؟ ومن غيرك يالورينزو يعلم أنى حبيبتك ؟

لورينـزو : السماء ومشاعرك تشهد أنى أحبك .

جيسيكا : خذ ! تلقّف هذه العلبة . ما فيها يساوى الكدّ فى جمعه . . وإنى لسعيدة بأن ظلمة الليل تحول دون رؤيتك إياى ، إذ كم أنا خجلة من مظهرى الجديد هذا . غير أن الحب أعمى ، والمحبون عاجزون عن رؤية الحماقات الجميلة التى يرتكبونها . ولو أنهم كانوا مبصرين لتملّك كيوبيد نفسه الخجل إذ يرانى وقد تحوّلت هكذا إلى غلام .

لورينـزو : إنزلى حتى تكونى حاملة مشعلى .

جيسيكا : كيف ! أأحمل بنفسى الضوء الذى يفضحنى ؟ فضيحتى فى حدّ ذاتها ظاهرة دون حاجة إلى ضوء ، وما تكلّفنى به ياحبيبى سيزيدها وضوحًا فى الوقت الذى أسعى فيه إلى إخفائها .

لورينـزو : لن يتعرّف أحد عليك ياحبيبتى وأنت فى هذا الزىّ الجميل للغلام . ولكن هيّا على الفور قبل أن ينصرم هذا الليل البهيم ، والقوم ينتظروننا فى حفل بسانيو .

جيسيكا : سأوصد الأبواب ، وأزوّد نفسى بمزيد من الدوقيات ، ثم ألحق بك للتو.

(تترك جيسيكا الشرقة إلى الداخل)

جراشيانو : قسما بهذا القناع الذى ألبسه ، إنها أبعد ما تكون عن سمات اليهودى .

لورينـزو : الويل لى إن لم أكن أحبها من كل قلبى ! فإن صدق حكمى فهى فتاة عاقلة ، وإن لم تخدعنى عيناى فهى فتاة حسناء . وقد أثبتت فعالها أنها وفية مخلصة . وعلى قدر صفات الحكمة والجمال والوفاء فيها سأجعل لها مكانة فى قلبى الوفى دوما لها .

(تدخل جيسيكا)

قد أتيت إذن ؟ أيها الغلام الرقيق هيّا بنا ، فرفاقنا فى الحفل التنكرى هم الآن فى انتظارنا .

(يدخل أنطونيو)

أنطـونيو : من هناك ؟

جراشيانو : سنيور أنطونيو ؟

أنطـونيو : ويلى عليك ياجراشيانو ! أين البقية ؟ الساعة الآن التاسعة وأصدقاؤنا كلهم فى انتظارك . لن يكون ثمة حفل تنكرى . فقد تحوّل مسار الريح ، وعما قليل يركب بسانيو السفينة . . لقد بعثت بعشرين رجلاً للبحث عنك .

جراشيانو : وأنا سعيد بهذا الخبر : فما لى من رجاء ، إلا إن أركب السفينة وأمضى هذا المساء . (يخرجان)

المشهد السابع

بلمونت

(تدخل بورشيا وأمير مراكش مع أتباعهما)

بورشيا : هيا أزيحوا الستائر عن الصناديق حتى يراها هذا الأمير النبيل . والآن فلتختر واحدا منها .

أمير مراكش : أولها صندوق من ذهب قد كُتب عليه : « من اختارنى نال ما يتمنّاه الكثيرون » . والثانى من فضة ، كتب عليه : « من اختارنى نال بمقدار ما يستحق » . والثالث من الرصاص القاتم ، كتب عليه تحذير قاتم مثله : « من اختارنى عليه أن يعطى وأن يخاطر بكل ما عنده » . فكيف عسانى أن أعلم أنى أحسنت الاختيار ؟

بورشيا : أحد الصناديق يحوى صورتى أيها الأمير . فإن اخترته أصبح زوجة لك .

أمير مراكش : وفّق الله اختيارى إذن . . فلأنظر وأتدبّر . أراجع الكتابات مرة أخرى . ماذا يقول صندوق الرصاص ؟ « من اختارنى عليه أن يعطى وأن يخاطر بكل ما عنده » . . أن يعطى ؟ من أجل أىّ مقابل ؟ مقابل الرصاص ؟! هذا الصندوق ينذرنا : فمن خاطر بكل ما عنده إنما يخاطر من أجل ما سيعود عليه بنفع كبير . وحيث أن العقل النبيل لن يلتفت إلى مثل هذه التفاهات ، فلانية لدىّ أن أعطى أو أن

أخاطر بأى شىء فى سبيل الرصاص . فما يقول الصندوق الفضى بلونه النقى ؟ « من اختارنى نال بمقدار ما يستحق » . . بمقدار ما يستحق . . لتتوقف هنا أيها الأمير ، ولتزن قدرك فى موضوعية وحياد . لو قيس قدْرك برأيك فى نفسك لاستحققت ما فيه الكفاية . غير أن الكفاية قد لا تشمل هذه السيدة . . ومع ذلك فإن الشك فى قدر ذاتى يحطّ من شأنى ويوهنه . . « بمقدار ما يستحق » . . وأنا أستحق أن أفوز بالسيدة . فأنا كفء لها من حيث الأصل ، ومن حيث الثراء ، والشمائل ، والسلوك المهذب ، وأستحقها، قبل أى شىء آخر ، بفضل حبى لها . فماذا لو أنى توقفت هنا واخترت هذا الصندوق ؟ لأقرأ مرة أخرى ما كتب على صندوق الذهب : « من اختارنى نال ما يتمنّاه الكثيرون » . آه ! هى السيدة بعينها ! فالعالم كله طامع فى الفوز بها . والناس من أركان العالم الأربعة يغدون إلى هنا ليقبّلوا هذه الأيقونة المقدسة ، بل القديس الحىّ ! وما صحارى هيركانيا [1] وبلاد العرب الشاسعة إلا بمثابة طرق يسلكها الأمراء من أجل أن يحظوا برؤية بورشيا الجميلة . أما مملكة البحار التى ينطح رأسها المتشامخ وجه السماء ، فليس بوسعها أن تحول بين الأجانب وبين المجىء لمشاهدة بورشيا الحسناء وكأن البحار مجرد جداول من الماء . . صندوق من هذه الصناديق الثلاثة يحوى صورتها البديعة . أفمن المعقول أن يحتويها الصندوق الرصاصى ؟ ما أبشع أن تمر بخاطرى مثل هذه الفكرة ، أو أن يودع كفنها فى هذا القبر المظلم ! أم أن صورتها فى صندوق الفضة التى تعارف الناس على أن قيمة الذهب تعادل عشرة أمثال قيمتها ؟ يالها من فكرة حقيرة أن تودع مثل هذه الجوهرة الثمينة فى غير وعاء من ذهب ! إن لديهم فى انجلترا عملة عليها صورة ملاك [2] ذهبى . غير أن الذهب فيها مجرد قشرة ، أما

---

(١) صحارى جنوبى بحر قزوين .

(٢) عملة كانت تعرف باسم angel لحملها صورة الملاك ميكائيل .

هنا فثمة ملاك يرقد فى سرير من ذهب . . ناولينى المفتاح . لقد اخترت هذا الصندوق ، وليكن قدرى ما يكون .

بورشـــيا : هاك المفتاح أيها الأمير . فإن كانت صورتى فى الصندوق صرت زوجتك .

(أمير مراكش يفتح الصندوق الذهبى)

أمير مراكش : الويل لى ! ما هذا الذى أراه هنا ؟ جمجمة فى ثقب عينها ورقة . سأقرأ ما كتب فيها :

« كثيرا ما أخبروك ونبّهوك

إلى أنه ما كل ما يلمع ذهب .

وكم قد باع روحه حتى يرانى

مِن كلّ مَنْ هبّ ودبّ .

غير أن القبور المذهّبة لا تحوى غير الديدان .

فلو أن حكمتك كانت فى مثل بسالتك يا أشجع الشجعان ،

وكان لك رأى الشيوخ فى جسد الشباب ،

لكان جوابك غير هذا الجواب .

وداعا إذن ، فإن طلبك غير مستجاب » .

طلب غير مستجاب وجهد ضائع من بليد . . وداعًا إذن يادفء الشمس ومرحبا ببرودة الجليد . . وداعًا يابورشيا ، فقلبى منفطر حزين ، لا يسمح بإطالة الحديث ، وكذا وداع الخائبين .

(ينصرف أمير مراكش وأتباعه)

بورشـــيا : قد تخلصنا منه فى يسر . هيا ! أسدلوا الستائر . وعسى أن يؤوب بخيبته ، كل من كان له لون بشرته !

(يخرجون ـ صوت أبواق)

الفصل الثانى

المشهد الثامن
البنـــدقيـــة

(يدخل ساليريو وسولانيو)

ساليريو : أؤكد لك أنى رأيت بسانيو فى السفينة وقد أبحر معه جراشيانو . أما لورينزو فلم يكن فى سفينتهما .

سولانيو : لقد توجّه اليهودى الوغد إلى الدوق يصرخ ويحتج ، فمضى معه حتى يفتّشا سفينة بسانيو .

ساليريو : وصلا متأخرًا بعد أن أقلعت السفينة . غير أن البعض أفهم الدوق هناك أن لورينزو وعاشقته جيسيكا قد شوهدا معا فى جندول . كما شهد أنطونيو أمام الدوق أنهما لم يكونا مع بسانيو فى سفينته .

سولانيو : لم أر فى حياتى هياجا مختلطا غريبًا فظيعًا متقلبا مثلما رأيته فى اليهودى الكلب وهو يهتف فى الطرقات : « إبنتى ! آه يادوقياتى ! آه يا ابنتى ! فرّت مع مسيحى ! آه يادوقياتى المسيحية ! العدالة ! القانون ! دوقياتى وابنتى ! كيس مختوم ، كيسان مختومان من الدوقيات ، من الدوقيات المزدوجة ، سرقتهما ابنتى منى ! ومجوهرات أيضًا . . حجران ، حجران كريمان ثمينان ، سرقتهما ابنتى ! العدالة ! ابحثوا عن الفتاة ! معها الحجران والدوقيات ! » .

ساليريو : وكل غلمان البندقية يتبعونه ويرددون صيحاته عن أحجاره وابنته ودوقياته .

سولانيو : فليحذر أنطونيو من أن يتأخر عن الوفاء بدينه ، وإلا دفع ثمن ما حدث .

ساليريو : أحسنت بذكرك لهذا الأمر . لقد أثرتُه يوم أمس مع رجل فرنسى فأخبرنى بتحطّم سفينة من بلادنا تحمل بضائع ثمينة فى المضيق الذى يفصل بين فرنسا وانجلترا . وقد فكرتُ فى أنطونيو حين أخبرنى بذلك ، وتمنّيت فى قرارة نفسى ألا تكون السفينة له .

سولانيو : من الخير أن تخبر أنطونيو بما سمعته . ولكن ترفّق إذ تنقل إليه الخبر حتى لا ينزعج .

ساليريو : ما على وجه الأرض من هو أطيب منه قلبا . . لقد رأيته وهو يودّع بسانيو، وسمعت بسانيو يخبره أنه سيعود سريعًا ، فأجابه أنطونيو بقوله : « لا تتعجل يا بسانيو فتفسد أمورك بسببى ، وخذ من الوقت ما أنت فى حاجة إليه . وأما عن الصّكّ الذى أخذه اليهودى منى ، فلا تشغل به ذهنك وخططك الغرامية . . . ابتسم للحياة ولا تعبأ بغير مشروع زواجك والتعبير الجميل عن حبك على النحو الذى يخدم غرضك هناك » . وعندئذ اغرورقت عيناه بالدموع ، فأشاح وجهه ، واضعًا ذراعه على كتف بسانيو ، وصافح يده بحرارة شديدة غريبة ، ثم افترقا .

سولانيو : إنه لا يحب الدنيا إلا من أجل بسانيو . أرجوك أن ترافقنى فنبحث عنه ، ونحاول أن نهيئ له من أسباب التسلية ما يخفف من الهمّ الذى يثقل كاهله .

ساليريو : فلنفعل .

(يخرجـان)

الفصل الثانى

المشهـد التاسـع

بلـمـونـت

(تدخل نيريسّا مع أحد الخدم)

نيريســـا : أسرع ، أسرع من فضلك وأزح الستار . فقد أدّى أمير أراجون القسم وسيأتى الآن للاختيار .

(صوت أبواق ـ يدخل أمير أراجون وحاشيته مع بورشيا)

بورشـــيا : أنظر أيها الأمير النبيل ، ها هى ذى الصناديق . فإن اخترت الصندوق الذى فيه صورتى ، شرعنا فورًا فى مراسم زواجنا . أما إن فشلت يامولاى فسيكون عليك أن تغادرنا على الفور دون أى حديث .

أمير أراجون : يفرض علىّ القسم الذى أديته ثلاثة أمور :

الأول : ألا أذكر لأىّ مخلوق أى الصناديق اخترت ؛

والثانى : ألا أحاول الزواج من أية فتاة طيلة عمرى إن أنا لم أختر الصندوق الصحيح ؛

وأخيرًا : أن أتركك على الفور وأمضى إن ساء حظى وأخفقت فى اختيارى .

بورشـــيا : وهى الشروط التى يقسم أن يراعيها كل من غامر من أجل شخصى التافه .

الرسول : أين سيدتى ؟

بورشيا : هنا . ماذا تريد ياسيدى ؟

الرسول : لقد وصل إلى بابك ياسيدتى شاب من البندقية ، رسول يبشّر بقرب وصول مولاه الذى حمّله التحيات إليك : تحيات من نوع السلام والتمنيات الطيبة والهدايا النفيسة . غير أنى لم أشهد فى حياتى رسول غرام فى مثل جمال هذا الذى جاء يسبق سيده . فهو كيوم جميل من أيام إبريل يبشر بقرب صيف رائع خصب .

بورشيا : كفاك حديثا ، أرجوك . فإنى لأكاد أخشى أن تمضى فتقول إنه واحد من أقربائك بعد استخدامك لأقوى التعابير فى امتداحه . . تعالى يانيريسا معى ، فإنى لمشتاقة إلى رؤية هذا الرسول لكيوبيد ، ذاك الذى أتانا مسرعا فى مثل هذه الصورة البديعة .

نيريسا : وإنى لأدعو إله الحب أن يكون القادم هو بسانيو !

(يخرجون)

الفصل الثالث

الفصل الثالث

المشهـد الأول
البنـــدقيـــة

(يدخل سولانيو وساليريو)

سولانيو : ما الأخبار فى الريالتو ؟

ساليريو : لا يزالون يقولون ، دون أن يكذّبهم أحد ، إن سفينة لأنطونيو محملة بنفيس البضائع قد تحطمت فى مضيق دوفر عند موقع يسمونه رمال جودوين [1] ، وهو موقع ضحل المياه ، شديد الخطورة ، يقال إن فى قاعه حُطام العديد من السفن الضخمة . . هذا إن صحّت الشائعات التى وصلت مسامعى .

سولانيو : ليتها كانت كاذبة كذب الشمطاوات أو كذب المرأة التى توهم جيرانها بأنها تندب موت زوجها الثالث ! غير أن الخبر صحيح ، ويمكننى القول دون التواء ومواربة ، ودون لف أو دوران ، أن أنطونيو الطيب ، أنطونيو الأمين ، أنطونيو الـ . . . ليتنى أجد وصفا خليقا به .

ساليريو : قل وعجّل !

سولانيو : هَهْ ؟ ماذا تعنى ؟ خلاصة القول أنه فقد إحدى سفنه .

ساليريو : علّها تكون آخر خسائره .

---

(١) رمال عند الساحل الجنوبى لمقاطعة كنت بإنجلترا تمتد فى البحر لمسافة ستة أميال .

سولانيو : فلأقل « آمين » حتى لا يُفسد الشيطان دعائى . وها هو قد أقبل فى هيئة يهودى .

(يدخل شايلوك)

شايلوك ! ما الأخبار التى يتناقلها التجار ؟

شايلوك : كنتما تعلمان سلفا بفرار ابنتى . نعم . ليس ثمة من كان يعلم به أكثر منكما .

ساليريو : بكل تأكيد . وعن نفسى أقول إنى أعرف الحائك الذى صنع لها الجناحين اللذين استخدمتهما فى الهرب .

سولانيو : وشايلوك من جانبه يعلم أن الطائر كان قد نبت ريشه ، فكان من الطبيعى أن يحين أوان هجره لعش أمه .

شايلوك : عليها اللعنة !

ساليريو : هذا مؤكد إن كان الشيطان هو الحَكم فى قضيتها .

شايلوك : أية ثورة هذه من لحمى ودمى !

سولانيو : ألا تخجل أيها العجوز الفانى ؟ أيهيج لحمك ودمك فى مثل هذه السن؟!(١)

شايلوك : أردت القول إن ابنتى هى لحمى ودمى .

ساليريو : الفارق بين لحمك ولحمها أكبر من الفارق بين الفحم والعاج ، والفارق بين دمك ودمها أعظم من الفارق بين النبيذ الأحمر الرخيص ونبيذ الراين . . ولكن خبرنا : هل سمعت بخبر مؤداه أن أنطونيو فقد سفنا له فى البحر ؟

شايلوك : وتلك خسارة أخرى لى . . هو رجل مفلس ، أدّى به تبذيره إلى أن أضحى لا يجرؤ على أن يُرِى وجهه فى الرياليتو ، وغدا شحاذًا بعد أن كان يمشى

(١) يتظاهر سولانيو بأنه ظن شايلوك يعنى الشهوة الجنسية .

مختالا فى السوق . . ليحذر الإخلال بالعقد . . اعتاد فى الماضى أن يدعونى بالمرابى . فليحذر الإخلال بالعقد . . واعتاد أن يُقرض المال كمسيحى دون فوائد . فليحذر الإخلال بالعقد !

ساليريو : أنا واثق من أنك لن تطالب بلحمه إن هو أخلّ بالعقد . إذ أىّ نفع لك فى هذا اللحم ؟

شايلوك : أستخدمه طُعْما لصيد السمك ! إن لم يهدّئ من غائلة جوعى هدّأ من غائلة رغبتى فى الثأر . لقد أساء إلى سمعتى ، وحرمنى من كسب نصف مليون ، وهزأ بخسائرى ، وسخر من أرباحى ، واحتقر أمّتى ، وأفسد صفقاتى، وحوّل عنى أصدقائى ، وأثار علىّ أعدائى . . فما دافعه إلى ذلك ؟ أننى يهودى . . أما لليهودى عينان ؟ أما لليهودى يدان ، وأعضاءٌ وهيئة ، ومدارك وعواطف وأحاسيس ؟ أليس كالمسيحى يأكلّ من نفس الطعام ، وتؤذيه نفس الأسلحة ، وتصيبه نفس الأمراض ، ويعالجه نفس الدواء ، ويشعر بالدفء فى نفس الصيف ، وبالبرد فى نفس الشتاء ؟ ألا يسيل الدم منا إذا طعنتمونا ، ونضحك إذا داعبتمونا ، ونموت إذا سممتمونا ؟ فإن أنتم أسأتم إلينا ، أفما من حقنا أن ننتقم ؟ فإن كنا مثلكم فى كل ما ذكرت ، فسنكون مثلكم فى هذا الصدد أيضًا . . إذ ما جزاء اليهودى إن هو أساء إلى مسيحى ؟ الثأر . وما هو بالتالى جزاء المسيحى إن هو أساء إلى يهودى ؟ هو الثأر أيضًا ! وستشهدون منى الغلظة التى تعلّمتها منكم ، بل وأشدّ منها إن لم يحل بينى وبينها حائل .

(يدخل أحد خدم أنطونيو)

الخـادم : (لسولانيو وساليريو) مولاى أنطونيو فى داره ويريد التحدث إليكما .

ساليريو : لقد كنا نبحث عنه فى كل مكان .

(يدخل طوبال)

سولانيو : وهذا امرؤ آخر من قبيلته . وما ثمة ثالث يمكننا مقارنته بهاذين ما لم يعتنق الشيطان نفسه دين اليهود .

(يخرج ساليريو وسولانيو والخادم)

شايلوك : طوبال ! ما الأخبار من جنوه ؟ هل وجدت ابنتى ؟

طوبال : مررتُ بأماكن كثيرة حدثونى فيها عنها ، غير أنى لم أوفق إلى العثور عليها .

شايلوك : ربّاه ، ربّاه ، ربّاه ، ربّاه ! ضاعت ماسة كلفتنى ألفى دوقية فى فرانكفورت ! ما عرفت أمّتنا لعنة السماء إلاّ الآن ، ولا شعرتُ بهذه اللعنة إلاّ الآن : ألفا دوقية دفعتها ثمنا لتلك الماسة ، بالإضافة إلى جواهر أخرى نفيسة نفيسة ! ليتنى أرى ابنتى ميتة عند قدمىّ والجواهر فى أذنيها! ليتها فى نعشها عند قدمىّ والدوقيات معها ! لا أخبار عنها ؟ كيف ؟ ثم المبالغ التى أنفقت فى سبيل البحث عنها ! يالها من خسارة تلو خسارة! قد سرق اللص مبالغ وأنفقنا المبالغ من أجل العثور على اللص ! وما من نتيجة ، وما من ثأر ، وما من حظ عاثر إلا ما يصادفنى، وما من تنهّدات إلا ما يصدر عنى ، وما من دموع إلا ما تذرفه عينى !

طوبال : بل ثمة آخرون ذوو حظ عاثر . . فقد سمعت فى جنوه أن أنطونيو . . . .

شايلوك : ماذا ، ماذا ، ماذا ؟ حظ عاثر ؟ حظ عاثر ؟

طوبال : تحطمت سفينة كبيرة له أثناء قدومها من طرابلس .

شايلوك : حمدا لله ، حمدا لله ! أصحيح هذا ؟ أهذا صحيح ؟

طوبال : قد تحادثتُ مع عدد من البحارة الناجين من السفينة .

شايلوك : شكرا لك ياطوبال . إنها لأخبار سارة . . أخبار سارة ! ها ها ! سمعتها فى جنوه ؟

طوبال : وسمعت أن ابنتك أنفقت فى جنوه فى ليلة واحدة ثمانين دوقية .

شايلوك : يالها كالطعنة بالخنجر فى قلبى ! لن أرى ذهبى مرة أخرى ما حييت . ثمانين دوقية فى جلسة واحدة ؟! ثمانين دوقية !

طوبال : وقد رافقنى إلى البندقية عدد من دائنى أنطونيو كانوا واثقين من أنه ليس أمام أنطونيو إلا أن يشهر إفلاسه .

شايلوك : وأنا سعيد بذلك . . سأسحقه وأعذبه . . أنا سعيد بذلك .

طوبال : أرانى أحدهم خاتما دفعته ابنتك ثمنا لقرد اشترته منه .

شايلوك : اللعنة عليها ! إنك تعذبنى ياطوبال . هو خاتم لى من الزبرجد كانت ليحا قد أهدتنى إياه قبل زواجنا . وما كنت لأعطيه ثمنا لغابة من القرود .

طوبال : غير أن المؤكد أن أنطونيو قد انتهى .

شايلوك : هذا حق . هذا مؤكد . إمض ياطوبال فادفع نيابة عنى أجر الضابط الذى سيقبض عليه ، قبل حلول أجل الصك بأسبوعين . وسأنتزع قلبه من جوفه إن هو أخلّ بالعقد ، حتى إذا ما خلت البندقية منه مارست تجارتى وفق هواى . امضِ ياطوبال ، ثم قابلنى فى معبدنا . إذهب ياطوبال ، وفى معبدنا نلتقى .

(يخرجان)

المشهد الثانى

بلمونت

(يدخل بسانيو وبورشيا وجراشيانو ونيريسا وكل أتباعهم)

بورشيا : رجائى إليك أن تتريّث ، وأن تتمهّل يوما أو يومين قبل أن تغامر . ذلك أنك إن أخطأت الاختيار فقدتُ أنا صحبتَك . . فانتظر إذن بعض الوقت . . لدىّ إحساس ـ ليس مبعثه الحب ـ بأنى لا أريد أن أفقدك ، غير أنك تعلم أن مثل هذا الإحساس لا يمكن أن يبعثه النفور . إنى أخشى أن تسئ فهمى ، والعذارى على أى حال لهن أن يفكّرن كما شئن دون أن يعبّرن عما يفكرن فيه . غير أنى أريدك أن تبقى هنا شهرًا أو شهرين قبل أن تخاطر من أجلى . قد يكون بإمكانى أن أهديك إلى سبيل الاختيار السليم ، غير أنى أقسمتُ ألا أفعل ، ولن أفعل . وقد تخطئ الاختيار فتفقدنى ، فإن فقدتنى فسيدفعنى فقدك إلى التحسّر على أنى لم آثم فأحنث بقسمى . . ويلى من عينيك . قد سحرتانى فقسمتانى نصفين : النصف لك ، والنصف الثانى هو أيضًا لك . كان ينبغى أن يكون الثانى لى ، غير أنه حتى إن كان لى فهو بالضرورة لك . فالكل إذن لك . . آه من هذا الزمن الخبيث الذى يحول بين المالك وحقّه ! فرغم أنى لك فلست فى الواقع لك . فإن كان هذا هو الوضع فليمض الحظ إلى الجحيم دونى . . غير أنى أطلت الحديث ، أطلته لأطيل الوقت ، وأمدّه حتى أؤجل لحظة اختيارك .

بسانيو : بل دعينى أختار ، حتى أنهىَ ما أنا فيه من عذاب كعذاب الجحيم .

بورشيا : كعذاب الجحيم يابسانيو ؟ فاعترف إذن بالخطيئة التى تخالط حبك .

باسانيو : ما من خطيئة هناك غير خطيئة الشك الكريه الذى يثير خوفى من ألا أنال محبوبى . فإن جاز أن يكون ثمة مودة وتوافق بين الثلج والنار ، جازت مخالطة الخطيئة لحبى .

بورشيا : نعم . غير أنى أخشى أن يكون كلامك هذا بدافع ما ذكرته من عذاب ، والتعذيب ـ كما تعلم ـ يستخدمونه لإجبار المرء على قول ما يريدونه أن يقول .

بسانيو : عدينى بالحياة فأعترف بالحقيقة لك .

بورشيا : حسنا إذن : إعترف وعش .

بسانيو : « إعترف وعش » . هذه العبارة هى خلاصة اعترافى . وإنه لعذاب لذيذ حين يلقّننى معذّبى الإجابات الكفيلة بنجاتى ! ولكن ، هيّا الآن إلى الصناديق لتجربة حظى .

بورشيا : فلنمض إذن . صورتى فى واحد منها . فإن كنت تحبنى حقا فستعثر عليها. ولتتنحّ نيريسا جانبا هى والآخرون . . لتعزف الموسيقى أثناء اختياره ، حتى إذا ما أخفق صاحبت الموسيقى نهاية اختياره شأن البجعة التى تنهى حياتها بالغناء . وحتى يكتمل التشبيه أقول إن عينى ستكون الغدير أو القبر المائى الذى سيدفن فيه . أما إن فاز ، فأىّ نوع من الموسيقى ستكون ؟ ستكون الموسيقى عندئذ صوت أبواق تدعو الرعية المخلصة إلى الانحناء أمام الملك عند تتويجه ، أو هى الموسيقى العذبة يعزفها أصدقاء العريس عند الفجر تحت نافذته وهو يحلم ، يستدعونه بها إلى حيث يُبرم عقد الزواج . . ها هو يتقدم فى وقار لا يقل عن وقار هرقل، وفى حبّ يفوق حبّه ، حين انبرى هرقل الشاب لإنقاذ العذراء التى قدّمها أهل طروادة وهم يبكون قربانا للوحش البحرى . . إننى ذلك القربان ، وتابعاتى هنا هن بمثابة نساء طروادة وقد خرجن بوجوه عليها

أثر الدمع ليرين نتيجة المغامرة . . إمض ياهرقل ! فإن كُتبتْ لك الحياة كتبت لى الحياة . وإن قلبى لأكثر انزعاجا إذ أشاهد القتال ، من انزعاجك أنت يامن انبريت للنزال .

(صوت موسيقى وغناء أثناء تأمل بسانيو للصناديق وتعليقه عليها)

الأغنية : خبّرونى أين ينبت الحب ؟
فى العقل يا تُرى أم فى القلب ؟
كيف ينشأ وما الذى يغذّيه ؟

الكل : أجب ! أجب !

الأغنية : إنه يولد فى البصر ،
ويتغذّى على النظر ،
ويموت فى المهد ،
فنلتفّ حول اللحد ،
وأكون أول الناس ،
القارعين للأجراس .

الكل : لنقرع الأجراس .

بسانيو : قد لا يدل المظهر الخارجى إذن على المخبر ، وتظل الدنيا دوما يخدعها جمال الرونق . فأمام المحاكم ، مهما كانت الدعوى فاسدة باطلة ، أمكن للبيان الفصيح إن تبنّاها أن يحجب فساد جوهرها . وفى الدين ، مهما كان الخطأ جسيما ، أمكن لصاحبه الوقور أن يعزّزه وأن يدعمه بنص دينى ، فيخفى القبح بذلك وراء مظهر جميل . وليس ثمة رذيلة مهما هان شأنها إلا تتوارى خلف ستار من الفضيلة . فما أكثر الجبناء ذوى القلوب المتقلبة كدرج من الرمال ، ممن نرى على وجوههم لحية هرقل أو لحية مارس إله الحرب العبوس ، فإن نقّبنا فى داخلهم وجدنا أكبادًا بيضاء كاللبن [1] ،

(١) كان المعتقد أن الكبد هو مصدر الشجاعة وأن فى الكبد الأبيض دلالة على الجبن .

وما ينتحلون لأنفسهم مظهر الشجعان إلا كى يخافهم الناس . ثم انظر إلى الجمال ، ترى أن وسائله ومساحيقه توزن وتُشترى ، فتُحدث فى الأصل تغييرا أشبه بالمعجزة ، ويخفّ عقل المتزيّنة بها بقدر ثقل ما تضعه من مساحيق . وكذا الحال مع ذلك الشعر الذهبى المتموّج كالثعابين ، والذى يتناثر مرحا مع هبوب الريح ، فوق رأس نخاله جميلا ، ما هو فى الحقيقة غير ميراث من رأس آخر قد غُيّبت جمجمته فى القبر . فما الزينة إذن إلا بمثابة الساحل الخلّاب لأكثر البحار خطورة ، أو الخمار الجميل فوق وجه دميم ، أو اختصاراً هى مظهر الحقيقة الذى ينتحله الزمان الماكر حتى ينصب حبائله لأكثر الناس حكمه . . ولهذا أشيح بوجهى عنك أيها الذهب البراق الذى كان طعامًا صلبًا لميداس [1] . كما أشيح بوجهى عنك أيضًا أيتها الفضة الشاحبة المتداولة بين الناس . . أما أنت، أنت أيها الرصاص الهزيل الذى يهدّد أكثر مما يعطى من وعود ، فإن شحوب لونك يؤثر فى نفسى أكثر مما تؤثر فيها الفصاحة الطليّة . سأختارك أنت ، وليكن نصيبى حياة هنيّة .

بورشيا : (جانبا) كل العواطف عندى ، عدا الحب ، قد تبخّرت فى الهواء : شكوكى ، ويأسى الذى لم يكن له مبرر ، وخوفى وارتعادى وغيرتى . . ولكن ، ترفّق أيها الحب واعتدل ، وخفّف من غلوائك ، وأمطر علىّ من نشوتك رذاذا هادئًا لاسيلا عارمًا ! إنى لأشعر بالبهجة ولكن أكثر مما ينبغى ، فخفّف منها حتى لا تدركنى التخمة .

(يفتح بسانيو الصندوق الرصاصى)

بسانيو : ما الذى أراه هنا ؟ صورة بورشيا الجميلة ! أىّ إنسان أشبه بالآلهة له هذه القدرة على الخلق ؟ أتتحرك هاتان العينان ؟ أم أن انعكاسهما فى عينىّ هو الذى يوهمنى بأنهما تتحركان ؟ وهاتان شفتان قد فرّقت بينهما أنفاس

(١) ميداس : ملك فريجيا الذى تهوّر فسأل الآلهة أن تحوّل كل ما يلمسه إلى ذهب ، فكان الطعام والشراب يستحيلان هما أيضا إلى ذهب كلما مسّتهما يده .

عطرة، فما أجمله من فاصل بين صديقين جميلين ! وقد كان الرسام فى رسمه لشعرها أشبه بالعنكبوت ، إذ نسج شركا ذهبيا يتصيّد به قلوب الرجال بأسرع مما يصيد نسج العنكبوت البعوض . . أما عن عينيها . . . كيف تمكّن الرجل من رؤيتهما فيرسمها ؟ إذ أنه لو كان رسم عينا واحدة فحسب لأمكن لتلك العين أن تسلبه عينيه معا فما يغدو بوسعه أن يرسم الأخرى . ومع ذلك فإن مديحى لا يوفى بحق هذه الصورة ويغمطه ، تماما كما أن الصورة لا توفى بحق الأصل وتغمطه . . ها هى الرسالة التى تحوى خلاصة طالعى . (يقرأ)

« أنت يامن لم يغرّه المظهر عند الانتقاء،
قد وفّقت فى اختيارك وكُتب لك الهناء .
وإذ كان هـذا هـو طـالعك السعيـد ،
فاقنـع بـه ، ولا تبحـث عـن جـديد .
فـإن أسـعـدك هـذا وأرضـاك ،
وحقّـق آمـالـك ومُـنـاك ،
فالتفـت تجـد وراءك حبيبتـك ،
أطـلب يدها ، واهبا إياها قبلتك » .

رسالة رقيقة ! إئذنى لى ، أى سيدتى الجميلة ، فعندى توكيل بأن أطلب وأن أهب . . إننى أقف أمامك أيتها السيدة متناهية الحسن ، وقوف أحد المتنافسين على جائزة ، يحسب أنه قد أرضى الناس بأدائه ، حتى إذا ما سمع التصفيق وهتاف الجماهير ، أدار الصوت رأسه وظل يحملق ويسائل نفسه عما إذا كان الهتاف له أو لغيره . فكذا سأظل أسائل نفسى عما إذا كان هذا حلما أم حقيقة ، حتى يصدر عنك تأكيد وتوقيع وتوثيق !

بورشـيا : ترانى الآن ياسيدى بسانيو كما أنا . ورغم أنى لا أتطلّع من أجل ذاتى إلى أن أكون أفضل مما أنا عليه ، فقد كان يسعدنى ، من أجلك أنت ، لو كنتُ أفضل ستين مرة مما أنا عليه ، وأجمل ألف مرة ، وأغنى عشرة آلاف

مرة ، حتى أبلغ الغاية فى تقديرك لى بفضل خلالى وجمالى ، وثروتى وعُزوتى . غير أنى ، كما أنا ، هزيلة القدر . وما أحسبنى فى مُجملى إلا فتاة ناقصة العلم والثقافة والتجربة ، يسعدها مع ذلك أنها صغيرة السن فيمكنها أن تتعلم ، ويسعدها أكثر أنها ليست شديدة الغباء فيمكنها أن تتعلم ، ويسعدها أكثر وأكثر أنها تُسلم قيادها لك ، توجهها توجيه السيد والحاكم والملك . . وها أنا الآن أُسلمك زمامى وزمام ما ملكت يداى . . لقد كنت حتى هذه اللحظة سيدة هذ القصر الجميل ، ومولاة خدمى ، وسيدة نفسى . أما فى هذه اللحظة ، هذه اللحظة عينها ، فقد أضحى هذا القصر وهؤلاء الخدم ونفسى ملكا لك أى مولاى ، أُسلمهم إليك مع خاتمى هذا . وهو خاتم إن فارقته أو فقدته أو أهديته ، كان ذلك إيذانا بنهاية حبك ، وذريعة لى لتأنيبك .

بســانيو : قد أفقدنى حديثك ياسيدتى القدرة على الحديث ، ولم يعد غير الدم فى عروقى قادرًا على مخاطبتك . لقد اضطربت مداركى اضطراب الجمهور الصاخب السعيد بالاستماع إلى خطبة جميلة من أميرِهِ المحبوب ، فتختلط الأمور جميعا وتتحول إلى كمّ مشعّث هائل من السعادة تعبّر عن نفسها دون كلام . . أما إن فارق هذا الخاتم إصبعى فليكن الموت جزائى وليكن من حقك أن تعلنى أن بسانيو قد لقى حتفه !

نيريســا : مولاى ومولاتى ، قد حان الآن الوقت لكى يهتف المتفرجون بعد أن تحققت آمالهم ، متمنين لكما الهناء الوفير . تهانينا لمولاى ومولاتى .

جراشيانو : سيدى بسانيو ، سيدتى الرقيقة ، أتمنى لكما كل البهجة التى يمكن أن تتمنّياها ، فأنا واثق أنكما لا تتمنّيان لنفسيكما أكثر مما أتمنّاه لكما . وإنى لأرجوكما حين يحين موعد تتويج عهديكما بالزواج ، أن تسمحا لى أيضًا بالزواج فى نفس اليوم .

بســانيو : بكل سرور ، شرط أن توفّق فى العثور على زوجة .

جراشيانو : شكرا لك يامولاى ، فقد ساعدتنى فى العثور عليها . . فعيناى ليستا بأبطء من عينيك . . قد لمحتَ السيدة ولمحتُ أنا وصيفتها ، ووقعتَ فى

شباك الحب ووقعتُ . وتأخّرك فى عقد الزواج يعنى تأخّرى . فإن كان حظك متوقّفا على انتقائك من بين تلك الصناديق فكذا كان حظى على ما يبدو . ظللت أنشد ودّها حتى تصبب العرق من جبينى ، وأقطع على نفسى عهود الحب حتى جفّ حلقى . وأخيرًا حصلتُ من هذه الحسناء هنا على وعد مؤكد (إن كان ثمة وعد مؤكد) بأن تبادلنى الغرام شريطة أن توفق فى التزوّج من سيدتها .

بورشيا : أهذا حق يانيريسا ؟

نيريسا : أجل ياسيدتى شرط موافقتك على ذلك .

بسانيو : وفى نيتك ياجراشيانو أن توف بعهدك ؟

جراشيانو : أقسم على ذلك بشرفى ياسيدى .

بسانيو : سيكون لحفلنا شرف زواجكما خلاله .

جراشيانو : وسنراهنهما يانيريسا على ألف دوقية أيّنا سينجب أول ولد .

نيريسا : فالرهان إذن قائم ؟

جراشيانو : لو لم يقم وينتصب لخسرنا الرهان . ولكن ، من هؤلاء ؟ إنه لورينزو وفتاته الكافرة ، ومعهما صديقى البندقى القديم ساليريو .

(يدخل لورينزو وجيسيكا ومعهما ساليريو ، رسولا من البندقية)

بسانيو : مرحبا بكما أى لورينزو وساليريو ، إن كانت حداثة وضعى هنا تخوّل لى حق الترحيب بكما . إئذنى لى أيتها العزيزة بورشيا أن أرحّب بصديقىّ ومواطنىّ .

بورشيا : وأشاركك ياسيدى فى هذا الترحيب فقد أسعدنا قدومهما .

لورينزو : شكرا لك ياسيدتى . أما عنى ياسيدى فما كان فى نيتى أصلاً أن ألاقيك هنا لولا أنى قابلت ساليريو فى الطريق فألحّ علىّ إلحاحًا لم أستطع مخالفته أن آتى معه .

ساليريو : قد ألححت عليه ياسيدى لسبب معين (يناوله رسالة) هى من السنيور أنطونيو الذى ينقل تحياته إليك .

بسانيو : خبّرنى ـ قبل أن أفتح الخطاب ـ كيف حال صديقى العزيز ؟

ساليريو : ليس عليلاً ما لم يكن عقله مصدر علّته ، ولا هو معافى ما لم يُعنه عقله على المرض . وستوضّح لك رسالته الحال الذى هو فيه .

(يفض بسانيو الرسالة)

جراشيانو : رحّبى يانيريسا بهذه الفتاة الغريبة هنا وأحسنى استقبالها . . ناولنى يدك ياساليريو أصافحك . ما الأخبار من البندقية ؟وكيف حال شيخ التجار الطيب أنطونيو ؟ أنا واثق من أن نجاحنا هنا سيسعده . فقد وُفّقنا ، شأن جيسون ، فى الظفر بالجزة الذهبية .

ساليريو : لوددت أنكم قد ظفرتم بما خسره أنطونيو .

بورشيا : ثمة أنباء محزنة فى تلك الرسالة التى امتقع وجه بسانيو لقراءتها . لابد أن صديقًا عزيزًا له قدمات ، فما بوسع أى أمر آخر فى الدنيا أن يخلّ هكذا من توازن مثل هذا الرجل الوقور . . وأنباء أسوأ وأسوأ ؟ . . بعد إذنك يابسانيو . . إنى شريكة حياتك ، ولابد من مشاركتك فيما حملته إليك هذه الرسالة .

بسانيو : آه ياعزيزتى بورشيا . فيها كلمات هى أبشع ما خطّه قلم فى ورق . سيدتى الرقيقة : تذكرين أنى حين كاشفتك بحبى لأول مرة تطوّعتُ بإخطارك أننى لا أملك من متاع الدنيا غير الدم فى عروقى . كنتُ أمينا إذ أخبرتك بهذا ، وكان قولى صدقا . غير أنى ياسيدتى حين قلت إنى فقير معدم كنتُ أحجب الحقيقة كما سترين . فحين أخبرتك أنى لا أملك شيئًا ، كان من واجبى أن أقول إنى أبأس حالا من الفقير المعدم . فالواقع أنى قد اقترضت أموالا من صديق عزيز ، ودفعت هذا الصديق إلى الاقتراض من عدو شرس له حتى يلبى احتياجاتى . وها هى رسالة ياسيدتى ، كل كلمة فيها كالجرح الغائر يقطر دما . . ولكن ، أصحيح هذا ياساليريو ؟

أأخفقت كل تجاراته ؟ لم يكتب لأيها النجاح ؟ لا سفنه القادمة من طربلس ، أو المكسيك ، أو انجلترا ، أو لشبونة ، أو المغرب ، أو الهند ؟ أما من سفينة واحدة نجت من تلك الصخور التى تودى بجهد التجار ؟

ساليريو : ما من سفينة نجت ياسيدى . كذلك يبدو أنه حتى لو كان لديه من المال ما يسدّد به دينه لليهودى فإن اليهودى سيرفض أخذه . . أقسم أنى ما رأيت فى حياتى مخلوقا فى صورة إنسان بمثل هذه الشراسة والتعطش إلى الفتك بإنسان آخر . إنه يطارد الدوق بإلحاحه ليل نهار ، ويتهم الدولة بخيانة قوانينها إن لم تنصفه العدالة . وقد سعى عشرون من التجار ، والدوق نفسه ، وأكبر وجهاء البندقية فى سبيل إقناعه ، فما أفلح واحد منهم فى أن يصرفه عن مطالبته الحقودة بتوقيع الجزاء ، وتطبيق العدالة ، والالتزام بشروط العقد .

جيسيكا : سمعتُه حين كنت أقيم معه يقسم لطوبال وشوس ، وهما من مواطنيه ، أنه يفضل الحصول على لحم من جسد أنطونيو على عشرين ضعف المبلغ الذى يدين به له . وإنى لواثقة ياسيدى من أن مصير أنطونيو سيكون مظلما إذا رضخ القانون والسلطة والحكومة لمطلب أبى .

بورشيا : أهو صديقك العزيز هذا الذى وقع فى هذه الورطة ؟

بسانيو : بل أعز أصدقائى ، وأطيب الناس قلبا ، وأرقهم طباعا ، وأسعاهم فى خدمة الآخرين ، وأكثر أهل إيطاليا تمتعا بسجايا الشرف التى عرفتها روما القديمة .

بورشيا : كم المبلغ الذى اقترضه من اليهودى ؟

بسانيو : اقترض ثلاثة آلاف دوقية ليعطينى إياها .

بورشيا : ثلاثة آلاف فقط ؟ أعطه ستة آلاف ومزّق العقد . أعطه ضعف الستة آلاف، أو ثلاثة أضعافها ، حتى لا يفقد صديق بهذه الصفات شعرة واحدة من شعره بسبب غلطة من بسانيو . . ولكن لنذهب أولا إلى الكنيسة فتجعلنى زوجا لك ، ثم امض بعد ذلك إلى صديقك فى

البندقية. غير أنك لن تضاجع بورشيا أبدا وأنت قلق البال . سأزوّدك بذهب كاف لدفع عشرين ضعف ذلك الدَّين الضئيل ، حتى إذا ما دفعته عدت إلىّ مع صديقك الوفىّ . وسأعيش ووصيفتى نيريسا أثناء غيابكم عيش الأبكار والأرامل . هيا إذن ! فقد كُتب عليك أن ترحل يوم زفافك . . رحّب بصديقيك وأزل عن وجهك عبوسه . وأما حبى لك فسيكون بقدر ما تعبتُ فى سبيل الظفر بك . . ولكن لتسمعنى أولا ما كتبه صديقك فى خطابه .

بسانيو : (يقرأ) « عزيزى بسانيو . قد تحطمت سفنى جميعا ، وغلبت القسوة على دائنىّ وتدهورت أحوالى . قد حلّ أجل الوفاء بدينى لليهودى ولم أوف به . وحيث أنى لا محالة ميت متى نُفِّذت شروط العقد ، فإنى أعفيك من كافة ديونك لى شرط أن أراك قبل موتى . ومع ذلك فإنى لا ألحّ . فإن لم يكن فى حبّك لى حافز كاف على المجىء ، فلا تجعل رسالتى حافزًا عليه » .

بورشيا : حبيبى ! عجل بإنهاء أشغالك وسافر إليه .

بسانيو : سأعجّل بالسفر ما دمتِ قد أذنتِ لى بالذهاب . وأعاهدك ألا أبيت فى فراش أو أعرف الراحة حتى نلتقى بعد غياب .

(يخرجون)

المشهد الثالث

البندقيــــة

(يدخل شايلوك اليهودى ، وسولانيو ، وأنطونيو ، والسجّان)

شايلوك : حذار أن يُفلت أيها السجّان . ولا تحدّثنى عن الرحمة ، فهو الأبله الذى كان يُقرض المال دون فوائد . حذار أن يهرب منك .

أنطونيو : أى شايلوك الطيب ، إسمعنى .

شايلوك : ستُنفَّذ شروطُ العقد ، فلا أسمعنّك تسفِّهها . وقد أقسمت على نيل حقى . . كنت تدعونى كلبا قبل أن يكون لديك سبب يدفعك إلى هذا . وحيث أنى كلب فاحذر من أنيابى . وسيلتزم الدوق بمقتضيات العدالة . . إنى لأعجب منك أيها السجان الخبيث إذ تبلغ منك الحماقة حدّ الخروج به من السجن استجابة لطلبه .

أنطونيو : أتوسل إليك أن تسمعنى .

شايلوك : سأنال حقى ولن أسمعك . ستُنفَّذ شروط العقد فلا معنى لمزيد من الكلام . ولن أسمح لنفسى بأن ألين وأن أُخدع ، فأهز رأسى وأتراجع وأتنهد وأستجيب لشفاعة مسيحيين . . لا تتبعنى ! فما أقبل حديثًا منك . وسأنال حقى . (يخرج)

سولانيو : ما عرف الناس بينهم من هو أكثر عنادًا من هذا الكلب .

أنطونيو : دعه وشأنه . ولن ألاحقه بعد الآن بتوسلات لا طائل من ورائها . إنه يريد قتلى وأنا أعلم السبب جيدًا . فقد سبق لى أن أنقذت الكثيرين ممن جاءوا يطلبون عونى من عقوبة الإخلال بالعقود . وهو يكرهنى لذلك .

سولانيو : أنا واثق من أن الدوق لن يسمح أبدًا بتوقيع العقوبة عليك .

أنطونيو : ليس بوسع الدوق أن يغير من مجرى العدالة . فلو أن أىّ محاولة تمت للحدّ من امتيازات الأجانب هنا فى البندقية ، للحق سمعتها فى مجال احترام القانون ضرر كبير ، علمًا بأن تجارة المدينة وثراءها يتوقفان على مبدأ المساواة بين أهلها والأجانب . فامض إذن . لقد تسببت أحزانى وخسائرى فى نحول جسدى حتى لأشك فى استطاعتى أن أقدّم رطلاً من اللحم غدا إلى دائنى المفترس . هيا إذن أيها السجان . وعسى أن يأتى بسانيو حتى يرانى أسدد دينه ، ثم لن يهمنى بعد هذا شىء .

(يخرجون)

المشهد الرابع

بلمونت

(تدخل بورشيا ، ونيريسا ، ولورينزو ، وجيسيكا ، وبلتازار خادم بورشيا)

لورينزو : ما يشجعنى على هذا الحديث ياسيدتى هو فهمك الصحيح النبيل لعاطفة الصداقة الإلهية ، وهو فهم يبدو فى أقوى صوره فى احتمالك غياب زوجك . بيد أنك لو عرفت الشخص الذى بذلت من أجله هذه التضحية وتحاولين مساعدته ، وعرفت مدى حبه لمولاى زوجك ، لكنت أكثر اعتزازًا بفعلتك هذه من أى صنيع عادى قد تضطرك الظروف إلى إسدائه .

بورشيا : ما ندمت قط على صنع الخير ، ولا فى اعتزامى أن أندم على ما صنعته الآن . فالأصدقاء الذين يتحادثون ويقطعون الوقت معا ، والذين يحمل بعضهم لبعض نفس القدر من المودة ، لابد أنهم متشابهون فى المظهر والمسلك والروح . وهو ما يجعلنى أعتقد أن أنطونيو هذا ، صديق زوجى الصدوق ، لابد شبيه بزوجى . فإن كان ذلك كذلك فما أبخس الثمن الذى دفعته فى سبيل إنقاذ شبيه حبيبى من براثن قسوة الجحيم . غير أنى إنما أمدح نفسى بهذا القول ، فلأكفّ عنه ، ولتستمع منى إلى أمور أخرى . . إنى أعهد إليك يالورينزو برعاية منزلى وإدارته إلى حين عودة زوجى . أما عنى فقد نذرت لله نَذْرا خفيا أن أقضى مع نيريسا مدة غياب سيدى فى الصلاة والتأمل وحدنا ، وسنسكن أثناءها ديرًا على بعد

ميلين من هنا . . وإنى لآمل ألا ترفض الاضطلاع بهذه المهمة التى يفرضها علىّ الآن حبى وبعض الضرورات الأخرى .

لورينزو : سأطيعك ياسيدتى من كل قلبى فى كل ما تأمرين به .

بورشيا : قد أخطرتُ أهل الدار بما اعتزمته ، وسيطيعونك وجيسيكا طاعتهم للسيد بسانيو ولى . فوداعا إذن حتى نلتقى .

لورينزو : صحبتك السعادة وهناء البال .

جيسيكا : ولتنعم سيدتى بكل ما يشتهيه قلبها .

بورشيا : أشكركما على تمنياتكما لى ، وهى تمنياتى لكما أيضًا . . إلى اللقاء ياجيسيكا . (تخرج جيسيكا ولورينزو) والآن يابالتازار . قد عهدتك دوما أمينا وفيا ، فلتكن الآن شأنك دائمًا . . خذ هذه الرسالة ، وامض بها بأسرع ما فى وسع إنسان ، إلى مدينة بادوا ، ثم سلّمها فى يد ابن عمى الدكتور بيلّاريو ، وخذ منه المذكرات والملابس التى سيعطيك إياها ، ثم أحضرها إلىّ بأقصى سرعة تتخيلها إلى مرفأ السفن المتوجهة إلى البندقية . لا تضع الوقت فى الحديث واذهب ، وسأكون فى المرفأ قبل وصولك إليه .

بالتازار : سأسرع يامولاتى . (يخرج)

بورشيا : هيا يانيريسا . فلدىّ الآن مهمة لا علم لك بها . وسنرى زوجينا قبل أن نخطر ببالهما .

نيريسا : هل سيروننا ؟

بورشيا : أجل يانيريسا ، ولكن فى ملبس يوحى إليهما بأن لدينا ما ليس لدينا . وأراهنك على أى شىء تريدين أننى متى ما لبسنا ملابس الرجال . سأبدو أكثر وسامة منك ، وأكثر اعتيادا على حمل الخنجر منك . سأتكلم بصوت المراهق الرفيع الحاد ، وأخطو خطوة الرجال الواسعة مقابل كل خطوتين أنيقتين للنساء ، وأتحدّث عن شجاراتى حديث

الشاب القوى المزهوّ بنفسه ، وآتى بالأكاذيب الظريفة عن كيف وقعت سيدات محترمات فى غرامى ، وكيف مرضن ومُتن حين أبيتُ أن أبادلهن الحب ، وأقول إنى لم أستطع إجبار نفسى ، غير أنى نادم وكم أتمنى رغم ذلك كله أنى لم أقتلهن . . سأروى عشرين من هذه الأكاذيب الصغيرة حتى لَيعتقد الرجال أننى توقفت عن الدراسة بعد اثنى عشر شهرًا فحسب . . وفى ذهنى ألف حيلة ساذجة سأمارسها . من حيل هؤلاء الأوغاد المتباهين بمغامراتهم .

نيريسا : سيكون مرادنا إذن هو هيئة الرجال ؟

بورشيا : ويل لك ! أىّ سؤال هذا ؟ آه لو كان قد سمعه رجل شبق يسىء تفسيره! ولكن هيا ، وسأحيطك علما بخطتى كلها ونحن فى العربة التى تنتظرنا عند بوابة الحديقة . أسرعى إذن . فعلينا أن نقطع اليوم مسافة عشرين ميلاً .

(تخرجان)

الفصل الثالث

المشهد الخامس

بلمونت

(يدخل القروىّ لانسلوت وجيسيكا)

لانسلوت : ما أقول غير الصدق . فخطايا الأب تقع على رءوس أبنائهم . ولهذا فإنى قلق عليك ، صدّقينى . لقد كنت دائمًا صريحًا معك ، وها أنا الآن أعبر عن مخاوفى فى هذا الشأن . فابتسمى إذن وافرحى ، فإنه واثق من أنك ملعونة إلى آخر الدهر . وليس هناك غير أمل واحد قد ينجيك ، غير أنه حتى هذا الأمل أمل غير شرعى .

جيسيكا : وأىّ أمل هذا ؟

لانسلوت : يمكنك أن تأملى ألا يكون والدك هو والدك ، وألا تكونى ابنة اليهودى .

جيسيكا : إنه حقا أمل غير شرعى . حينئذ تقع خطايا الأم على رأسى .

لانسلوت : هذا حق . فأنت إذن ملعونة من الجهتين : الأب والأم ، إن تجنّبتِ الرمضاء (وهى أبوك) وقعت فى النار التى هى أمك . وبهذا يكون مصيرك مظلما فى الحالين .

جيسيكا : سيُنْجينى زوجى الذى جعلنى أتحوّل إلى المسيحية .

لانسلوت : وهذه غلطة أخرى منه . فقد كان عدد المسيحيين قبل انضمامك إليهم أكبر من أن يسمح لهم بالعيش معا دون مشاكل . وتحويل الناس إلى

المسيحية لابدّ سيرفع من ثمن الخنازير . فإن كنا جميعًا سنأكل من لحمها، فعما قريب لن يكون بوسع الفرد منا أن يشترى ولو قطعة صغيرة يشويها .

(يدخل لورينزو)

جيسيكا : سأخبر زوجى يا لانسلوت بما تقوله . وها هو ذا .

لورينزو : ستصيبنى الغيرة منك عما قريب يالانسلوت إن أنت أكثرت من خلواتك هذه مع زوجتى .

جيسيكا : لا داعِ لهذه المخاوف يالورينزو فقد تشاجرتُ مع لانسلوت . إنه يخبرنى صراحةً ألا أتوقع رحمة من السماء لأنى ابنة يهودى ، ويقول إنك مواطن غير صالح فى المجتمع إذ تحوّل اليهود إلى الديانة المسيحية فيرتفع بذلك ثمن لحم الخنزير .

لورينزو : أستطيع الدفاع عن موقفى هذا أمام المجتمع أكثر مما تستطيع أنت الدفاع عن تسبّبك فى حمل الفتاة الزنجية . فجارية أمير مراكش حامل منك يالانسلوت .

لانسلوت : قد يُحمل حَمْل المغربية على محمل الجدّ . غير أن وصفها بالعاهرة إن هو إلا وصفٌ مؤدّب لها .

لورينزو : قد بات بوسع كل أبله أن يتلاعب بالألفاظ ، حتى لأكاد أحسب أن الحكماء عما قريب سيفضلون الالتزام بالصمت ، تاركين الكلام للببغاوات وحدها . . امض ياهذا واطلب من الخدم الاستعداد للعشاء .

لانسلوت : هم مستعدون له بالفعل ياسيدى ؛ فهم جوعى .

لورينزو : يا إلهى ! ما أسرع بديهتك ! فاطلب منهم إذن إعداد العشاء .

لانسلوت : العشاء جاهز بالفعل . ولا ينقص غير الغطاء [1].

(١) يقصد غطاء المائدة .

لورينزو : عليك إذن بالغطاء .

لانسلوت : معاذ الله ياسيدى . فأنا أعرف حدودى [1].

لورينزو : ما كل هذا التحوير للمعانى ! أفى نيتك أن تفرغ أمامنا دفعة واحدة كل ما فى جعبتك من نكات ؟ أرجوك أن تفهم القصد الواضح لرجل واضح . . إذهب إلى الخدم واطلب منهم فرش غطاء المائدة ، وتقديم اللحم ، وسندخل للعشاء .

لانسلوت : فأما المائدة ياسيدى فستقدَّم ، وأما اللحم فسيغطّى ، وأما دخولكما فمتروك لكما . (يخرج)

لورينزو : ما أسرع بديهته وأبرع تلاعبه بالألفاظ ! لقد حشد هذا المهرج فى ذاكرته مئات الردود المنتخبة . وإنى لأعرف الكثيرين من المهرجين من أمثاله ، يشغلون مراكز أرفع من مركزه ، ويلبسون مثله لباس المهرجين ، ويستخدمون العبارات الغامضة تجنبا للإفصاح عن معان صريحة . . . ولكن ، كيف حالك أنت ياجيسيكا ؟ خبرينى ياحبيبتى عن رأيك فى زوجة بسانيو .

جيسيكا : تجلّ عن الوصف . فأما وقد نال بسانيو هذه النعمة فى صورة زوجة ، فما أخلقه بأن يعيش حياة قويمة ! إنه يستمتع بنعيم الجنة هنا فى الأرض ، فإن لم يكن أهلاً لهذا النعيم فى الأرض فلن يكون من حقه دخول الجنة . ولو تنافس إلهان فى السماء وتراهنا على امرأتين فى الأرض أيهما أفضل ، ثم اختار أحدهما بورشيا ، لكان على الثانى أن يضيف شيئًا ثمينًا إلى المرأة الثانية حتى لا يخسر رهانه . فما هناك امرأة فى كل هذه الدنيا تعادلها فى القدر .

لورينزو : وما هناك زوج فى كل هذه الدنيا يعادلنى فى القدر .

(١) هنا يتظاهر لانسلوت بفهم قولة لورينزو على أنها أمر منه بتغطية الرأس (أى لبس القبعة) ، وهو ما لا يجوز للخادم فعله فى حضرة سيده .

جيسيكا : إسألنى أنا عن ذلك .

لورينزو : سأسألك بعد قليل . ولكن لندخل أولا لتناول العشاء ، فنُخمد شهوتنا إلى الطعام .

جيسيكا : خير لك أن تسمع مديحى قبل إخماد الشهوة !

لورينزو : بل فلنجعل هذا موضوعنا أثناء العشاء . ومهما قلتِ عندئذ فسألتهمه التهاما مع الطعام .

جيسيكا : فإلى التهام المديح والطعام معا إذن !

(يخرجـان)

الفصـــل الرابـــع

الفصل الرابع

المشهد الأول
إحدى المحاكم بالبندقية

(يدخل الدوق ، وكبار النبلاء ، وأنطونيو ، وبسانيو ، وجراشيانو وساليريو ، وآخرون)

الدوق : أأنطونيو هنا ؟

أنطونيو : هنا يامولاى .

الدوق : إنى آسف من أجلك . فأنت تواجه تهمة خصمٍ له قلب من حجارة ، خال من الإنسانية ، مجرد من الإحساس بالشفقة ، عارٍ من أدنى مسحة من الرحمة .

أنطونيو : وصلنى أن فخامتكم قد بذلتم جهدًا كبيرًا فى سبيل إثنائه عن نيته الرهيبة . ولكن حيث أنه مصمم على اقتضائه حقه ، وليس ثمة وسيلة قانونية بوسعها أن تنقذنى من براثن غلّه ، فإنى أتذرع بالصبر فى مواجهة حقده ، وأتسلّح به حتى أواجه استبداده وحقده بنفس هادئة .

الدوق : فليمض أحدكم لاستدعاء اليهودى إلى قاعة المحكمة .

ساليريو : إنه بالباب ، وها هو قادم يامولاى .

(يدخل شايلوك)

الدوق : أفسحوا مكانا له حتى يقف قبالتنا . . شايلوك ، الناس تعتقد ، وكذا

أعتقد أنا ، أنك إنما تتظاهر بكل هذا الحقد ، وستظل تتظاهر به حتى قرب النهاية ، ثم تُظهر الرحمة والشفقة بصورة أغرب من صورة قسوتك الشاذة البادية . ويقولون إنه بالرغم من مطالبتك الآن بتوقيع العقوبة ، وهى اقتضاء رطل من لحم هذا التاجر المسكين ، فإنك لن تتخلى فقط عن هذه المطالبة ، بل وستستجيب لداعى الرحمة الإنسانية والمحبة ، فتتنازل له عن جزء من أصل الدين ، مشفقًا عليه بسبب خسائره التى قصمت ظهره فى الفترة الأخيرة . إنها خسائر كفيلة بأن تزعزع مركز أعظم التجار شأنا ، وأن تثير الإشفاق عليه فى أقسى الصدور وأغلظ القلوب ، ولدى الترك والتتر العنيدين الذين لم يعرفوا قط واجب المعاملة المتمدينة مع الآخرين . . وها نحن أيها اليهودى ننتظر منك ردًّا جميلاً .

شايلوك : قد سبق لى أن عبّرت لفخامتكم عن نواياى ، كما سبق أن أقسمت بالسبت المقدس أنى سأطالب بحقى الذى حلّ أجله . فإن أبيتم إعطائى حقى فالويل لقوانين مدينتكم وحرياتها ! ستسألوننى لماذا أفضل رطلاً من اللحم على ثلاثة آلاف دوقية . غير أنى لن أجيب . قولوا إنها نزوة منى . أفى هذا إجابة شافية ؟ لنفرض أن فى بيتى فأرا فاخترت أن أنفق عشرة آلاف دوقية فى سبيل الإمساك به . أفى هذا إجابة شافية ؟ من الناس من لا يحب منظر الخنزير المشوىّ فاغر الفم ، ومنهم من يجن جنونه إن لمح قطة ، ومنهم من إذا سمع موسيقى القِرَب بال على نفسه . فميولنا كثيرًا ما تتحكم فى عواطفنا فتحدد لنا ما نحب وما نكره . والآن أجيب على سؤالكم : حيث أنه ما من سبب قوى وراء كراهية هذا لمنظر الخنزير فاغر الفم ، أو ذاك لقطة تنفع ولا تضر ، أو ذاك لقربة من صوف ، وهى كراهية تضطرهم إلى معاناة عار مؤكد من جراء تصرف يضايق الناس مثلما يضايقهم هم أنفسهم ، فكذلك أنا ، ليس بوسعى أن أجيب على سؤالكم ولن أجيب عليه . وإنما هى كراهيةٌ دفينة وبغضٌ أحملها لأنطونيو ، ويدفعانى إلى المضى فى قضية ضده فيها خسارة لى . أفى هذا إجابة شافية ؟

بسانيو : ليست إجابة شافية أيها الإنسان الخالى من الإحساس ، ولا إجابة تبرر قسوتك .

شايلوك : لستُ مضطرا إلى إرضائك بإجاباتى .

بسانيو : هل يقتل الناس كل ما لا يحبون ؟

شايلوك : هل يكره الناس شيئًا ولا يحبون قتله ؟

بسانيو : ما كل إساءة بداعٍ إلى الكراهية .

شايلوك : أتقبل إذن أن تُلدغ من الجُحر مرتين ؟

أنطونيو : أرجوك أن تتذكر أنك إنما تجادل يهوديًا . وهو ما يماثل وقوفك على ساحل البحر طالبا من المدّ ألا يبلغ ارتفاعه المألوف ، أو سؤالك الذئب لم تسبّب فى بكاء النعجة على الحمل ، أو تحذيرك لأشجار الصنوبر الجبلية من أن تهتز رؤوسها أو أن يصدر حفيف منها إذا هبت عليها عواصف السماء . . بوسعك أن تنهض بأى أمر مهما بلغت صعوبته إلا أن ترقّق من قلبه اليهودى الذى لا يعادله قلب فى قسوته . ولذا فإنى أتوسل إليكم ألا تبذلوا أى جهد آخر ، وألا تلجأوا إلى أية وسيلة أخرى ، وأن تختصروا الإجراءات وتصدروا مباشرة حكمكم علىّ ، حتى ينال اليهودى غرضه .

بسانيو : هذه ستة آلاف دوقية مقابل آلافك الثلاثة .

شايلوك : لو أن كل دوقية من هذه الآلاف الستة تحوّلت إلى ستة أجزاء ، كل جزء منها دوقية ، لما أخذتها ، ولظللت أطالب بتنفيذ شروط العقد .

الدوق : كيف سيكون إذن بوسعك أن تطلب لنفسك الرحمة وأنت لا ترحم الآخرين؟

شايلوك : وأىّ حكم أخافه ولم أرتكب خطأ ؟ إن لديكم عبيدًا كثيرين اشتريتموهم بأموالكم ، وتعاملونهم معاملة الحمير والكلاب والبغال ، وتستخدمونهم للقيام بواجبات مهينة قذرة لمجرد أنكم اشتريتموهم . فهل من حقى أن أقول لكم : « حرّروهم ! زوّجوهم من ورثتكم ! لماذا تسمحون بأن

يزحوا تحت أعبائهم وأن يتصبّبوا عرقا ؟ فلتكن أسرّتهم ناعمة كأسرّتكم ، وطعامهم شهيا كطعامكم ! » ؟ ستجيبوننى بقولكم : « العبيد عبيدنا » . وكذا أجيبكم . فرطل اللحم الذى أطالبه به قد بذلت فيه ثمنا غاليا . فهو لى إذن ، وسآخذه . فإن أبيتم فاللعنة على قوانينكم ، قوانين البندقية التى لا تطبّق . إنى أطالب بالعدالة . أجيبونى : هل سأنالها ؟

الـدوق : من حقى أن أصرف هذه المحكمة ، وسأصرفها ما لم يحضر إلينا اليوم العلاّمة بيلاّريو الذى أرسلت فى طلبه لحسم القضية .

ساليريو : مولاى ! فى الخارج رسول يحمل خطابات من ذلك العلامة ، وقد وصل لتوّه من بادوا .

الـدوق : هاتنا بالخطابات واستدع الرسول .

بسانيو : هوّن على نفسك يا أنطونيو واستجمع شجاعتك يارجل . وأعاهدك ألا تفقد قطرة واحدة من دمك قبل أن يظفر اليهودى منى بدمى ولحمى وعظامى وكل شىء آخر .

أنطونيو : ما أنا إلا كالشاة الموبوءة من دون القطيع أجمعه ، فلم أعد أصلح لغير الموت . إن أضعف الثمار أسرعها سقوطا من الشجرة . وهكذا أنا . وإن أفضل ما يمكنك صنعه يابسانيو هو أن تبقى على قيد الحياة لتكتب نعيى على قبرى .

(تدخل نيريسا متنكرة فى زىّ كاتب المحامى)

الـدوق : أقادم أنت من بادوا من طرف بيلاريو ؟

نيريسا : من بادوا ومن طرف بيلاريو يامولاى . (تقدم إليه خطابا) . وبيلاريو يبعث إلى مولاى بتحياته .

بسانيو : لم تشحذ سكينك بهذه الهمّة ؟

شايلوك : لأقتطع حقى من ذلك المفلس هناك .

جراشيانو : أنت لا تشحذ السكين على نعلك أيها اليهودى القاسى وإنما تشحذه

على روحك . وما لأىّ معدن ولا حتى فأس الجلاد ما لحقدك من حدّة . أما بوسع أىّ توسل أن ينفذ إلى قلبك ؟

شايلوك : لا . لن ينفذ إلى قلبى أىّ ابتكار لفطنتك .

جراشيانو : عليك اللعنة أيها الكلب المقيت ! لقد أخطأت العدالة إذ سمحت لك بالعيش حتى الآن . وإنك لتكاد تفتننى عن دينى فأعتنق رأى فيثاغورس القائل بأن أرواح الحيوانات تنتقل للسكنى فى أجسام الآدميين . فما روحك الشريرة غير روح ذئب شنقوه لقتله آدميا [1] ، ثم طارت من المشنقة لتنتقل إليك وأنت فى بطن أمك العاهرة . ودليلى على ذلك أن رغائبك كلها رغائب دموية جائعة مفترسة كرغائب الذئب .

شايلوك : ما دمتَ عاجزاً بسبابك عن إزالة الخاتم عن صكى ، فما تؤذى بصراخك غير رئتيك . فحافظ على عقلك إذن أيها الشاب الطيب وإلاّ أصابه عطب لا شفاء منه . وأنا هنا إنما أطالب بتطبيق القانون .

الـدوق : هذا الخطاب من بيلاريو يوصى محكمتنا بالاستماع إلى فقيه علامة شاب . . أين هو ؟

نيريسا : ينتظر قريبا من هنا حتى يسمع ما إذا كنتم ستأذنون له بالدخول .

الـدوق : بكل سرور . ليذهب ثلاثة أو أربعة منكم للترحيب به واصطحابه إلى مكاننا . (يخرج بعض موظفى المحكمة) وستستمع المحكمة فى هذه الأثناء إلى نص رسالة بيلاريو . (يقرأ) :

« أحيط فخامتكم علما بأن خطابكم وصلنى وأنا فى فراش المرض . غير أن لحظة وصول رسولكم صادفت وجود فقيه شاب من روما ، واسمه بالتازار ، جاء ليسعدنى بزيارته . وقد شرحت له قضية الخلاف بين اليهودى وبين التاجر أنطونيو ، ثم شرعنا نقلّب الكتب سويّا . وقد

(١) كانت الحيوانات المفترسة تحاكم أحيانًا وتُعدم فى أوروبا لافتراسها آدميين ، وذلك حتى أواخر القرن السابع عشر .

زودته برأيى ، فعدّل منه بفضل علمه الواسع ، وهو علم لا أستطيع أن أوفيه حقه من المديح . وقد ألححت عليه أن ينقل إليكم نيابة عنى هذا الرأى الذى طلبتموه . وأملى ألا يحول صغر سنه دون نيله ما هو أهل له من الاحترام والتقدير . ذلك أنى لم أعرف فى حياتى إنسانا مثله يجمع بين نضارة الشباب وحكمة الشيوخ . لذلك أتعشم أن يلقى لديكم قبولا حسنا ، واثقًا من أن اختباركم إياه سيعزز من تقديركم له » .

(تدخل بورشيا متنكرة فى صورة الدكتور بالتازار ، يتبعها موظفو المحكمة)

قد استمعتم إلى ما كتبه بيلاريو . وأعتقد أن هذا هو الفقيه قد وصل . ناولنى يدك أصافحك . أقدمت من عند بيلاريو ؟

بورشيا : أجل يامولاى .

الدوق : مرحبًا بك . . خذ مكانك . أمحيط أنت بتفاصيل النزاع الذى تنظره هذه المحكمة الآن ؟

بورشيا : أحطت بتفاصيل القضية كلها . أيها التاجر هنا ، وأيهما اليهودى ؟

الدوق : ليتقدم كل من أنطونيو وشايلوك .

بورشيا : إسمك شايلوك ؟

شايلوك : شايلوك هو اسمى .

بورشيا : لقضيتك طابع غريب . غير أن قوانين البندقية لا تملك أن تمنعك من السير فى إجراءاتها . . وأنت ! أأنت الواقع تحت رحمته ؟

أنطونيو : كذا يقول .

بورشيا : أتعترف بصحة هذا الصك ؟

أنطونيو : نعم .

بورشيا : فلزام على اليهودى إذن أن يكون رحيما .

شايلوك : ما الذى يلزمنى بذلك ، خبّرنى ؟

بورشيا : لا دخل للإلزام فى مشاعر الرحمة . فهى تهبط من السماء كالرذاذ على ما تحتها . وهى تبارك الطرفين معًا : من كان مصدرها ومن كان موضعها . وهى تبدو فى أقوى صورها فى أقوى الناس ، فتزين الملك على عرشه أكثر مما يزينه تاجه . قد يكون صولجانه رمزًا لسلطته الدنيوية ومهابته وجلالته؛ فهو مصدر خشية الناس وخوفهم من الملوك . أما الرحمة فأعلى شأنا من التاج والصولجان . إنها تجلس على عرش قلب الملك . وهى من صفات الله نفسه ، مما يجعل فى السلطة الدنيوية شبها بقدرة الله حين تجلّل الرحمة العدالة . . وحيث أنك أيها اليهودى تطالب بتحقيق العدالة ، فإنى أريدك أن تتدبّر هذه الحقيقة : وهى أننا إن التزمنا بالعدالة وحدها فلن يكتب لأحد منا الخلاص . إننا فى دعائنا نطلب لأنفسنا الرحمة . وهذا الدعاء ذاته يعلمنا واجب الإشفاق على الآخرين. وما أطلت حديثى هذا إلا لأحدّ من مغالاتك فى المطالبة بتطبيق العدالة. ذلك أنك إن مضيت فى طريقك هذا فلن تجد هذه المحكمة الصارمة هنا فى البندقية مفرا من الحكم ضد ذلك التاجر الواقف هناك .

شايلوك : أنا المسئول وحدى عن تصرفاتى . أريد تطبيق القانون وتوقيع العقوبة وتنفيذ أحكام العقد .

بورشيا : أما فى وسعه أن يسدّد الدين ؟

بسانيو : بل بمقدوره . وها أنا أسدّده نيابة عنه فى قاعة هذه المحكمة . بل أدفع ضعف المبلغ ، فإن لم يكفه فأنا على استعداد لأنه ألزم نفسى بدفع عشرة أضعافه بضمان يداى ورأسى وقلبى . فإن لم يرضه ذلك فسيكون واضحًا أن الحقد كانت له الغلبة على الأمانة . وإنى لأتوسل إليكم أن تستخدموا سلطانكم ولو مرة واحدة لتعطيل القانون ، وتقيد إرادة هذا الشيطان المريد . فلا شك فى أنه لابد من بعض الظلم من أجل تحقيق الخير الكبير.

بورشيا : هذا لا يجوز . فما من سلطة فى البندقية بوسعها أن تحدث بقانون مستقرّ ،

وإلا شكّل ذلك العبث سابقة تعرف الدولة بعدها مزيدًا من خرق القوانين . هذا أمر لا يجوز .

شايلوك : هو دانيال نفسه قد أتى ليحكم ! أجل ، إنه دانيال بعينه ! ألا ما أجدرك بالتكريم أيها القاضى الشاب الحكيم !

بورشيا : أرينى الصك لو سمحت .

شايلوك : ها هو ذا أيها الفقيه الموقر . هاك الصك .

بورشيا : شايلوك ، إنهم يعرضون عليك ثلاثة أضعاف المبلغ .

شايلوك : لقد أقسمت ، أقسمت ، أقسمت بالله . فهل أحنث بيمينى فأهلك ؟ لا وحقك وإن وضعوا البندقية بأسرها فى يمينى .

بورشيا : نعم لقد أخلّ التاجر بشروط الصك ، ولليهودى حق قانونى فى المطالبة برطل من اللحم يقتطعه من أقرب موضع إلى قلب التاجر . . كن رحيما ياشايلوك . خذ ثلاثة أضعاف المبلغ واسمح لى أن أمزّق الصك .

شايلوك : سأسمح بذلك بعد تنفيذ بنوده . . إنه ليبدو لى أنك قاض حصيف . فأنت تعرف القانون جيدًا ، وكان عرضُك له ممتازًا . ولذا فإنى أطالبك باسم القانون ـ وأنت العمدة الضليع فيه ـ أن نواصل متابعة القضية ، وأقسم بروحى أنه ما من قوة فى لسان مخلوق أن تحوّلنى عن رأيى . . وأنا هنا متمسك بحقى .

أنطونيو : من كل قلبى أتوسل إلى المحكمة أن تنطق بالحكم .

بورشيا : إن كان الأمر كذلك فلتعدّ صدرك لاستقبال سكّينه .

شايلوك : ما أنبلك من قاض ، وما أعظمك أيها الشاب !

بورشيا : فبمقتضى نص القانون يجب توقيع العقوبة المتفق عليها فى بنود الصك .

شايلوك : ما من شك فى ذلك . ألا ما أحكمك وأعدلك أيها القاضى . الظاهر أنك أكبر سنا بكثير مما توحى به ملامحك .

بورشيا : إكشف إذن عن صدرك .

شايلوك : نعم . صدره . كذا يقول الصك . أليس كذلك أيها القاضى النبيل ؟ «من أقرب موضع إلى قلبه» ، كذا يذكر النص حرفيا .

بورشيا : هو ذاك . أهنا ميزان لوزن اللحم ؟

شايلوك : قد أعددت الميزان .

بورشيا : ولنستدع جرّاحا على نفقتك ياشايلوك ليوقف نزف جراحه حتى لا يموت .

شايلوك : أهذا مذكور فى الصك ؟

بورشيا : لا . ولكنك تحسن صنعا إن فعلت ذلك من قبيل الشفقة .

شايلوك : لا أجد هنا هذا الالتزام . ليس مذكورًا فى الصك .

بورشيا : وأنت أيها التاجر ، ألديك ما تريد قوله ؟

أنطونيو : بضع كلمات . إنى مستعد لمواجهة مصيرى وأنا هادئ البال . ناولنى يدك يابسانيو . وداعًا . لاتحزن إذ أصابنى ما أصابنى بسببك . فالقدر بذلك قد أثبت أنه أرحم مما هو فى العادة . فهو فى العادة يمدّ من عمر البائس بعد فقدانه لثروته حتى يواجه سنوات طويلة من الفقر بعين غائرة وجبين ملأته التجاعيد . وقد شاء القدر فى حالتى أن يجنّبنى طول احتمال مثل هذا العذاب . . أبلغ زوجتك الكريمة تحياتى ، وقصّ عليها تفاصيل نهاية أنطونيو . . خبّرها بمدى حبى لك ، واذكرنى بالخير بعد موتى . حتى إذا ما انتهيت من قصتك دعها تحكم بنفسها ما إن كان لك فى وقت ما صديق يحبك . . لا تأسف إلا على فقدانك الصديق ، فإن أطعت فلن يأسف الصديق على تأدية الدين نيابة عنك فلو أن سكين اليهودى وصل إلى قلبى فسيبهج قلبى أن أعلم بأن الدين قد سُدّد .

بسانيو : لى يا أنطونيو زوجة أحبها حبى للحياة ذاتها غير أن الحياة وزوجتى والدنيا بأسرها لا تساوى فى نظرى حياتك أنت وإنى لعلى استعداد

لفقد كل شىء ، بل وللتضحية بكل هذا فى سبيل أن يتركك هذا الشيطان وشأنك .

بورشـــيا : لو أن زوجتك هنا وسمعت هذا العرض منك ، لما أسعدها ذلك .

جراشيانو : ولى أنا زوجة أحبها . ومع ذلك فليتها كانت فى العالم الآخر حتى تتوسل إلى أحد الكائنات السماوية أن يجعل اليهودى يتحوّل عن قراره .

نيريســـا : أحسنتَ إذ تعبر عن أمانيك من وراء ظهرها ، وإلاّ لكان أصاب حياتكما معًا شَرّ .

شـايلوك : تفرّجوا على هؤلاء الأزواج المسيحيين ! إن لى ابنة أفضّل لها أن تتزوج يهوديًا من نسل بارابّاس اللص [1]، على أن تتزوج من مسيحى . . غير أننا نضيّع الوقت . رجائى إذن إصدار الحكم .

بورشـــيا : من حقك اقتطاع رطل لحم من جسد التاجر المذكور . المحكمة تسمح بذلك ، والقانون يؤيده .

شـايلوك : حكمتَ فعدلت !

بورشـــيا : وعليك أن تقتطع اللحم من صدره . . القانون يجيز ذلك والمحكمة تؤيده .

شـايلوك : إنك لقاضٍ علاّمة ! قد صدرالحكم . هيا فلتستعدّ .

بورشـــيا : إنتظر لحظة ، فهناك شىء آخر . هذا الصك لا يجيز لك أن تأخذ قطرة واحدة من الدم . فنص الكلمات هو « رطل من اللحم » . نفّذ إذن شروط الصك وخذ الرطل من اللحم . غير أنك إن أرقت أثناء اقتطاعك إياه قطرة واحدة من دمٍ مسيحى ، صودرت أملاكك وبضائعك بمقتضى قوانين البندقية ، وأضحت ملكا للدولة .

---

(١) هو اللص الذى خيّر بيلاطس اليهود بين إطلاق سراحه وإطلاق سراح المسيح ، فاختاروا إطلاق سراح باراباس .

جراشيانو : يالك من قاض عادل ! أليس كذلك أيها اليهودى ؟ يالك من قاض علامة !

شـايلوك : أهكذا يقول القانون ؟

بورشـــيا : ستقرأ بنفسك المادة . فحيث أنك تلح فى طلب تطبيق القانون ، فتأكد أن تطبيقه سيكون أكثر مما تحب .

جراشيانو : يالك من قاض علاّمة ! أليس كذلك أيها اليهودى ؟ قاض علامة !

شـايلوك : سأقبل إذن ما عُرض علىّ . هاتوا ثلاثة أضعاف قيمة الدين وليطلق سراح المسيحى .

بســانيو : هاك المال .

بورشـــيا : انتظر ! بل سينال اليهودى حقه القانونى . انتظروا ولا تعجلوا . لن يأخذ غير ما نص عليه الصك .

جراشيانو : هو قاض عادل أيها اليهودى . قاض علامة !

بورشـــيا : فلتستعد إذن لاقتطاع اللحم . لا تسفك دما ولا تقتطع أقل أو أكثر من رطل واحد من اللحم . فإن أنت أخذت أكثر أو أقل من رطل بالضبط ، ولو بمقدار جرام واحد ، بل ولو بمقدار واحد على عشرين من الجرام ، بل ولو بمقدار شعرة واحدة يتحرك لها الميزان ، فيحكم عليك بالموت وبمصادرة كل ما تملك .

جراشيانو : إنه دانيال الجديد ! دانيال أيها اليهودى . الآن قد وقعت فى أيدينا أيها الكافر !

بورشـــيا : لماذا يتردد اليهودى ؟ خذ حقك .

شـايلوك : أعطونى أصل الدين ودعونى أنصرف .

بســانيو : المبلغ جاهز عندى . إليك هو .

بورشـــيا : لقد رفضه أمام المحكمة . ولن يأخذ غير ما يقضى به القانون وينص عليه الصك .

جراشيانو : هو دانيال دون شك . دانيال الجديد . شكرا لك أيها اليهودى لتعليمك إياى هذه الكلمة .

شايلوك : ألا يُسمح لى باسترداد مجرد قيمة الدين ؟

بورشيا : لن يسمح لك بغير رطل اللحم تأخذه على مسئوليتك أيها اليهودى .

شايلوك : حسنا إذن . فليبارك له الشيطان فيه ! ولن أنتظر نهاية المحاكمة .

بورشيا : انتظر أيها اليهودى . فثمة أمر آخر فى القانون يتعلق بك . ذلك أن قوانين البندقية تنص على أنه إذا ثبت أن أجنبيًا حاول ـ بشكل مباشر أو غير مباشر ـ أن يسلب حياة أحد مواطنيها ، فللشخص الذى تمت المحاولة ضده نصف ممتلكات المعتدى ، ويؤول النصف الثانى إلى خزانة الدولة ، ويضحى للدوق وحده دون أى طرف آخر أن يقضى بإعدام المعتدى أو إخلاء سبيله . وإنما ذكرتُ أن هذا القانون يسرى عليك لأنه من الواضح أنك قد حاولت بوسائل غير مباشرة ، بل وبوسائل مباشرة أيضًا أن تسلب المدعى عليه حياته ، وهو ما يدخل تحت طائلة قانون العقوبات المذكور آنفا . . إركع إذن واطلب الرحمة من الدوق .

جراشيانو : توسّل إليه أن يأذن لك بأن تشنق نفسك . ولكن ، حيث أن ثروتك آلت إلى الدولة ، فلن يكون لديك الآن ما يكفى لشراء حبل ، وهو ما يعنى أنك ستشنق على نفقة الدولة .

الدوق : لكى ترى الفارق بيننا وبينك ، سأطلق سراحك من قبل أن تطلب منى ذلك . أما عن ثروتك فإن نصفها يؤول إلى أنطونيو ، ويؤول نصفها الثانى إلى خزانة الدولة ، ما لم تقدّم التماسًا باستبدال الغرامة بالمصادرة .

بورشيا : هذا عن النصف الثانى لا النصف الذى سيؤول إلى أنطونيو .

شايلوك : بل فلتأخذوا حياتى وكل شىء لى ، فلا أريد عفوكم . إنكم تأخذون منى منزلى إذا أخذتم الدعامة التى يستند منزلى إليها ، وتأخذون حياتى إذا أخذتم منى ما أتعيش به .

بورشيا : فما الذى يمكنك ياأنطونيو أن تقدّمه إليه من قبيل الشفقة عليه ؟

جراشيانو : قدّم له حبلا بالمجّان ، ولا شىء آخر أرجوك .

أنطونيو : إذا قبل سيدى الدوق وهيئة المحكمة أن يعفى النصف الثانى من ممتلكاته من المصادرة أو الغرامة ، فإنى أقبل إدارة النصف الأول واستغلاله ، على أن أسلمه بعد وفاته إلى الرجل الذى تزوج مؤخرًا من ابنته دون رضاه . كل هذا بشرطين : أن يعتنق المسيحية مقابل هذا الفضل منى ، وأن يوقع على عقد هبةٍ هنا فى المحكمة يقضى بترك كل ما يملكه عند وفاته لابنته وزوجها لورينزو .

الدوق : فإن لم يفعل هذا تراجعت عن العفو الذى أصدرته هنا عنه منذ لحظات .

بورشيا : أتقبل هذا أيها اليهودى ؟ ما قولك ؟

شايلوك : أقبل .

بورشيا : حرّر أيها الكاتب عقد هبة .

شايلوك : أرجوكم أن تسمحوا لى بالانصراف من هنا ، فقد أصابتنى وعكة . أرسلوا العقد إلىّ فى منزلى فأوقّع عليه .

الدوق : إنصرف إذن ، وحذار ألا توقع عليه .

جراشيانو : ستحتاج عند تعميدك إلى شاهدين . ولو كنتُ أنا القاضى لقضيتُ بتعيين عشرة آخرين حتى يحكموا بشنقك لا بتعميدك [١] .

(يخرج شايلوك)

الدوق : سيدى ، أرجوك أن تقبل الدعوة إلى تناول العشاء معى فى دارى .

بورشيا : أرجوك أن تعفينى . فعلىّ أن أسافر الليلة إلى بادوا ، والواجب أن أتحرّك الآن .

الدوق : آسف إذ لا يسمح وقتك بهذا . أنطونيو ! عليك بمكافأة هذا السيد ، ففى اعتقادى أنك مدين له بالكثير .

(يخرج الدوق وحاشيته)

---

(١) « تعيين عشرة آخرين » : حتى يصبح العدد ١٢ وهو عدد هيئة المحلفين فى المحكمة .

بسانيو : سيدى الفاضل ، لقد أنقذتنى وأنقذت صديقى بحكمتك وجنّبتنا متاعب خطيرة . فاسمح لنا بأن نكافئك على جهودك الحميدة بمبلغ الثلاثة آلاف دوقية المستحقة لليهودى .

أنطونيو : وسنظل مدينين لك علاوة على ذلك بحبنا وخدماتنا مدى الحياة .

بورشيا : رضا المرء عن عمله هو خير مكافأة له عليه . وإذ أنا راض عن جهدى لإنقاذك ، فإنى أعتبر هذا الرضا جزاءً وافيًا ، علما بأنى ما كنت فى الماضى أتوقع مكافأة على عمل لى مثلما توقعت هذه المرة . . تذكّرانى إن نحن التقينا مرة أخرى . تمنياتى الطيبة لكما ، وإلى اللقاء .

بسانيو : سيدى العزيز ، إنى لأجده لزاما علىّ أن أحاول مرة أخرى إقناعك ولو بقبول تذكار صغير منا ما دمت لا تقبل الأجر . وإنى لأرجوك أن تسعدنى بأمرين : ألا ترفض عرضى ، وأن تعفو عنى .

بورشيا : ما دمت تلحّ علىّ فسأقبل . (لأنطونيو) أعطنى قفّازك وسألبسه من قبيل الذكرى . (لبسانيو) ومن قبيل مبادلتك الودّ سآخذ هذا الخاتم منك . . لم تسحب يدك هكذا ؟ لن آخذ أكثر من هذا الخاتم . ولا أظنك تضنّ علىّ به رمزًا لمودّتك .

بسانيو : هذا الخاتم ياسيدى ؟ إنه للأسف خاتم رخيص الثمن أخجل من أن أقدمه هدية لك .

بورشيا : لن آخذ غيره . وأظننى قد بتّ مصرّة على نيله .

بسانيو : لهذا الخاتم أهمية عندى تتجاوز ثمنه . وإنى لعلى استعداد أن أقدّم لك أثمن خاتم فى البندقية ، وأن أبعث رسلى فى طلبه ، على أن تغفر لى احتفاظى بهذا .

بورشيا : أراك ياسيدى سخيا بوعودك . علّمتنى أولا أن أتوسل ، وها أنت تعلمنى فيما يبدو كيفية الردّ على المتسوّل .

بسانيو : سيدى ، هذا الخاتم أعطتنى زوجتى إياه . وقد جعلتنى وهى تضعه فى إصبعى أقسم بأنى لن أبيعه ولن أهبه ولن أضيّعه .

بورشـيا : كثيرون من الرجال يعتذرون بهذا العذر من أجل الاحتفاظ بما يملكون . فإن كانت امرأتك عاقلة وعرفتْ أىّ جهد أستحق من أجله هذا الخاتم ، فلن يطول أمد غضبها عليك إذ أعطيتنى إياه . . حسنا . . إلى اللقاء إذن .

(تخرج بورشيا ونيريسا)

أنطونيو : أعطه الخاتم ياعزيزى بسانيو . فلاشك أن جدارته ومودّتى يرجحان أمر زوجتك .

بسانيو : أسرع يا جراشيانو والحق به واعطه الخاتم . . حاول أيضًا أن تأتى به إلى منزل أنطونيو . هيا أسرع !

(يخرج جراشيانو)

هيا نذهب معا إلى دارك الآن ، وفى الصباح الباكر نطير سويا إلى بلمونت . هيا يا أنطونيو .

(يخرجـان)

المشهد الثانى
البندقية

(تدخل بورشيا ونيريسا)

بورشيا : استفسرى عن مكان بيت اليهودى ، وأعطيه هذا العقد واطلبى منه أن يوقع عليه . سنسافر هذه الليلة ، فنصل قبل وصول زوجينا بيوم واحد . لاشك فى أن لورينزو سيسرّه هذا العقد .

(يدخل جراشيانو)

جراشيانو : يسرنى أن استطعت اللحاق بك ياسيدى . لقد أعاد مولاى بسانيو التفكير فى الموضوع وقرر إرسال الخاتم إليك ، راجيا منك قبول دعوته إلى العشاء معه .

بورشيا : لن أتمكن للأسف من قبول الدعوة . أما الخاتم فأقبله شاكرة ممتنة . خبّره بذلك . ورجائى أيضًا أن تدلّ غلامى على موقع دار شايلوك العجوز .

جراشيانو : سأفعل .

نيريسا : (لبورشيا) أريد كلمة معك ياسيدى . (جانبا) سأرى ما إذا كان بمقدورى أن آخذ خاتم زوجى الذى جعلتُه يقسم أن يحافظ عليه .

بورشيا : لتفعلى . وقد تنجحين . وعندئذ سيقسمان لنا أنهما إنما أعطيا الخاتمين لرجلين ، فنتحدّاهما ونقسم من جانبنا أنهما كاذبان . . أسرعى إذن بالذهاب . وأنت تعرفين المكان الذى سأنتظرك عنده .

نيريسا : (لجراشيانو) هيا ياسيدى ، ودلّنى على منزله . (يخرجون)

الفصل الخامس

الفصل الخامس

المشهد الأول

بلمونت ـ بستان أمام دار بورشيا

(يدخل لورينزو وجيسيكا)

لورينزو : القمر يتلألأ نوره . . . في ليلة كهذه ، حين كانت النسمات الهادئة تطبع قبلتها الرقيقة على خدّ الأشجار دون ما صوت أو حفيف ، تسلّق ترويلوس أسوار طروادة ، مصوّبا النظر وهو يتنهد في حرقة إلى معسكر الإغريق حيث كانت كريسيدا تقضي ليلتها [1].

جيسيكا : في ليلة كهذه ، كانت ثيسبي تخطو على الأرض المبتلة بالندى وهي خائفة مذعورة ، فلمحت خيال الأسد من قبل أن يبدو لها ، فأصابها الوجل ولاذت بالفرار [2].

لورينزو : في ليلة كهذه وقفت ديدو على ساحل البحر صاحب الأمواج وهي

---

(١) ترويلوس ، في الأساطير الإغريقية ، أحد أبناء بريام ملك طروادة ، وكان شديد الحب لكريسيدا التي كانت تخونه .

(٢) ثيسبي ، في الأسطورة الآسيوية ، حبيبة بيراموس البابلي وجارته . اعترض أبواهما على زواجهما فاتفقا على الهرب . وإذ كانت ثيسبي في طريقها إلى مكانه أزعجها أسد ففرت تاركة وراءها وشاحا لوّثه الأسد بالدماء ، فلما عثر عليه بيراموس ظن أن الأسد قد فتك بها فقتل نفسه بسيفه . ثم أقبلت ثيسبي فأمسكت بالسيف وانتحرت .

تحمل عودا من شجر الصفصاف تلوّح به لحبيبها حتى يعود إلى قرطاجنة [1].

جيسيكا : فى ليلة كهذه كانت ميديا تجمع الأعشاب السحرية حتى تعيد بها الشباب إلى إيسون الشيخ [2].

لورينزو : فى ليلة كهذه فرّت جيسيكا من دار اليهودى الثرى ، تاركة البندقية مع حبيبها الطائش قادمين إلى بلمونت .

جيسيكا : فى ليلة كهذه أقسم لورينزو الشاب أنه يهيم بها ، وسلبها عقلها بالعديد من عهود الإخلاص والوفاء ، وما كان صادقًا فى أى عهد منها .

لورينزو : فى ليلة كهذه أساءت جيسيكا الجميلة الماكرة الظن بحبيبها ولكنه سامحها .

جيسيكا : بوسعى أن أغلبك الليلة فى هذه المساجلة لو أننا ظللنا وحدنا . غير أنى أسمع دبيب أقدام رجل يقصدنا .

(يدخل رسول هو ستيفانو)

لورينزو : من القادم مسرعا هكذا فى هدأة الليل ؟

ستيفانو : صديق .

لورينزو : صديق ؟ أى صديق ؟ ما اسمك أيها الصديق ؟

ستيفانو : أُدعى ستيفانو ، وقد أتيت لأخبركم أن سيدتى ستصل إلى بلمونت قبل مطلع الفجر ، وهى الآن تجول بين صلبان مقدسة تركع عندها وتدعو أن يمنّ الله عليها بحياة زوجية سعيدة .

لورينزو : من يأتى معها ؟

---

(١) ديدو ، فى الأساطير الرومانية ، مؤسسة قرطاجنة وملكتها . يروى فيرجيل فى الإنيادة أخبار حبها لإينياس ثم يأسها من حبه حين سافر وتركها فانتحرت .

(٢) ميديا ، فى الأساطير الإغريقية ، هى أميرة كولشيس . اشتهرت بالسحر ، وعاونت جيسون فى العثور على الجزّة الذهبية ، ثم استعانت بأعشاب سحرية لردّ الشباب إلى والد جيسون .

ستيفانو : ما من أحد غير راهب مقدس ووصيفتها . ولكن خبرنى من فضلك : هل عاد سيدى ؟

لورينـــزو : لا عاد ولا جاءتنا أخبار منه . ولكن ، هيا بنا ندخل ياجيسيكا لنعد استقبالا حافلا لسيدة الدار .

(يدخل القروى لانسلوت)

لانسلوت : صولا صولا ! ووها هو ! صولا صولا [1] !

لورينـــزو : من ينادى ؟

لانسلوت : صولا ! هل رأيت السيد لورينزو ؟ ياسيد لورينزو ! صولا صولا !

لورينـــزو : كفاك صراخا يارجل ! ها أنا ذا .

لانسلوت : صولا ! أين ؟ أين ؟

لورينـــزو : هنا !

لانسلوت : أخبره أن رسولا قد وصل من لدن سيدى يحمل فى جعبته أنباء كثيرة سارة . وسيصل سيدى إلى هنا قبل طلوع الصبح . (يخرج)

لورينـــزو : لندخل إذن ياحبيبتى الدار لانتظارهم فيها . لا . ما بنا من حاجة إلى الدخول . أدخل أنت ياصديقى ستيفانو وخبّرهم فى الدار أن سيدتك على وشك الوصول ، واطلب من الموسيقيين أن يأتوا هنا فى الهواء الطلق . (يخرج ستيفانو) .

ما أجمل ضوء القمر على هذه الضفّة ! لنجلس هنا ، وندع نغمات الموسيقى تداعب آذاننا . فالليل والسكون الجميل هما خير ما يناسب الموسيقى العذبة . . إجلسى ياجيسيكا ، وانظرى كيف رُصّعت أرضية السماء بأشكال من الذهب البراق . . إنه ما من كوكب مهما صغر حجمه مما ترينه إلا ويغنّى أثناء حركته كالملاك الذى يبعث أنغامه إلى أسماع

---

(١) نداء يتنادى به الصيادون أثناء القنص .

الملائكة الصغار . مثل هذا الانسجام تعرفه الأرواح الخالدة . فإن أطبقت علينا أجسادنا الفانية الغليظة المخلوقة من طين ، سلبتنا القدرة على سماعه .

(يدخل ستيفانو مع الموسيقيين)

هيا ! تعالوا فأيقظوا ديانا بأنغامكم ، واعزفوا حتى تصل ألحانكم إلى أسماع سيدتكم فتهديها الموسيقى إلى بيتها .

(تعزف الموسيقى)

جيسيكا : دائما أشعر بالمرح يفارقنى عند الإستماع إلى لحن عذب .

لورينزو : ما ذاك إلا لأنك تستمعين إليه وعقلك متوثب متحفّز . يكفى أن تلاحظى قطيعا من الحيوانات البرية الهائمة ، أو جنسا من الخيول الصغيرة التى لم يركبها بشر ، تقفز كالمجنونة وتصهل صهيلا يصم الآذان ، وقد هاجت الحرارة الغريزية فى دمائها ، حتى إذا ما سمعت صوت بوق ، أو وصلت إلى آذانها أنغام من الموسيقى ، رأيتها وقد توقّفت جميعها فى آن واحد ، وتحوّلت النظرة الشرسة فى عيونها إلى نظرة وديعة ، بفعل سحر الموسيقى . . لذلك ذهب الشاعر [١] إلى أن أورفيوس كان يجذب إليه الأشجار والحجارة وسيول الماء ، حيث أنه ما من شىء مهما بلغت غلظته وصلابته وشدته إلا أفلحت الموسيقى فى تغيير طبيعته إلى حين . والإنسان الذى تفتقر روحه إلى الموسيقى ، ولا يهزه الانسجام فى الأنغام العذبة ، خليق بالخيانة والمكر والنهب ، ظلام روحه فى مثل ظلام الليل، داكن المشاعر مثل إيريبوس [٢] ، ولا يجدر بأحد أن يأتمنه . استمعى إلى اللحن .

(تدخل بورشيا ونيريسا)

(١) يقصد أوفيد ، الشاعر اللاتينى .

(٢) إيريبوس : موضع الظلمات بين الأرض والجحيم .

بورشيا : الضوء الذى نراه صادر من صالة البيت . كيف يمكن لشمعة صغيرة أن ترسل أشعتها مثل هذه المسافة البعيدة ؟ وهكذا يسطع العمل الطيب فى ظلمة عالم شرير .

نيريسا : لم نر الشمعة حين كان القمر ساطعا .

بورشيا : وكذا يحجب المجد الأكبر ما دونه فى الدرجة . . بوسع نائب الملك أن يتألق تألق الملك ، حتى إذا ما رجع الملك زال بريقه وتلاشى تلاشى ماء الجدول الصغير حين يصب فى البحر . . أنصتى ! موسيقى !

نيريسا : الموسيقى صادرة من منزلك ياسيدتى .

بورشيا : يخيل إلىّ أنه ما من شىء يمكن وصفه بالجمال إلا بالمقارنة بغيره . ألا ترين أن الموسيقى بالليل أعذب منها بالنهار ؟

نيريسا : هذا بفضل السكون ياسيدتى .

بورشيا : غناء الغراب مشابه لغناء القُبّرة عند من لا يسمع . وفى ظنى أن البلبل لو غنى نهارًا حين يصيح الأوز ، لما اعتبر الناس شدوه أجمل من شدو الصَّعْو . وكم من الأشياء ازدانت بظهورها فى أوانها فحظيت بالمديح ووصفت بالكمال . صَهْ ! إلهة القمر ترقد مع الراعى إينديميون وتأبى أن تستيقظ [١] !

(تتوقف الموسيقى)

لورينزو : هذا صوت بورشيا ، ما لم تخدعنى أذناى .

بورشيا : قد تعرّف علىّ كما يتعرّف الأعمى على طائر الوقواق من صوته القبيح .

لورينزو : سيدتى العزيزة ، مرحبا بك فى دارك .

بورشيا : كنا نصلى من أجل زوجينا ، وندعو لهما بالخير دعاء نأمل أن يستجاب . هل عادا ؟

(١) إينديميون : فى الأسطورة الإغريقية ، راع وسيم عشقته إلهة القمر . وربما ذكرت بورشيا هذا حين رأت جيسيكا نائمة فى أحضان لورينزو .

لورينزو : لم يعُدا بعد ياسيدتى ، غير أن رسولا جاء يخطرنا بقرب وصولهما .

بورشيا : أدخلى يانيريسا وأمرى الخدم بألا يذكروا شيئًا عن غيابنا عن الدار . وكذا أنت يالورينزو . وأنت ياجيسيكا .

(صوت نفير)

لورينزو : زوجك يقترب ، فقد سمعت صوت نفيره . . لا تخشى شيئًا ياسيدتى فلسنا بالنمّامين .

بورشيا : لا أرى هذه الليلة فى نورها تختلف كثيرًا عن النهار ؛ عن نهار عليل شاحب اللون بعض الشىء ، أو عن نهار توارت فيه الشمس .

(يدخل بسانيو وأنطونيو وجراشيانو وأتباعهم)

بســانيو : لو كنا فى الجهة المقابلة المظلمة من الأرض وحللت أنت مكان الشمس ، لرأينا نور النهار هناك بأعيننا .

بورشــيا : سألعب إذن دور الشمس دون أن أكون امرأة لعوبا ! فالزوجة اللعوب تخلق الزوج الغضوب . ولن أُغضب بسانيو منى أبدًا . وكل شىء فى يد الله على كل حال . مرحبا بك ياسيدى فى دارك .

بســانيو : شكرًا لك ياسيدتى . هيا رحّبى بصديقى . إنه أنطونيو موضوع القضية ، رجل أدين له بالكثير .

بورشــيا : إنك خليق بأن يكون مدينا لك بالكثير ، فقد سمعت أنك صرت مدينا بسببه .

أنطــونيو : ليس دينى بأكبر مما تم بالفعل سداده .

بورشــيا : مرحبا بك ياسيدى فى دارنا . وإذ سيكون ترحيبنا بك بالفعل لا بالقول فإنى سأختصر التحية .

جراشيانو : (لنيريسا) قسما بهذا القمر أنك تظلمينني . والله ما أعطيته إلا لكاتب القاضى . ولكن حيث أنك ياحبيبتى قد ساءك هذا فإن أدعو الله أن يخصى هذا الكاتب .

بورشــيا : أَشِجار ولم تمض غير لحظات على وصولنا ؟ ماذا حدث ؟

جراشيانو : تعنّفنى بشأن خاتم من الذهب ، خاتم زهيد الثمن أعطتنى إياه نُقشت عليه عبارة كتلك التى تنقش على مقابض السكاكين : « أحبّنى ولا تهجرنى » .

نيريســـا : لا تحدثنى عن العبارة أو الثمن . لقد أقسمت لى حين أعطيتك إياه أنك لن تخلعه من إصبعك حتى ساعة وفاتك ، وأنه سيدفن معك فى قبرك . وقد كان من واجبك ، لا من أجلى ولكن من أجل قسمك ، أن ترعى عهدك فتحتفظ به . . يزعم أنه أعطاه لكاتب القاضى ! وأنا أقسم بالله العظيم أن ذلك الكاتب لا لحية له ولن تنبت له لحية ما عاش !

جراشيانو : بل ستنبت له لحية متى بلغ وصار رجلاً يافعًا .

نيريســـا : نعم ، شرط أن تتحول المرأة إلى رجل .

جراشيانو : أقسم بيمينى هذه أنى إنما أعطيته لشاب لم يجاوز عمر الصبا ، صبى قصير نحيل ، لا تزيد قامته على قامتك ، هو كاتب القاضى الذى ظل يلح فى طلبه أجرًا له ، فلم يطاوعنى قلبى على أن أضن به عليه .

بورشــيا : سأكون صريحة معك فأقول إنك مخطئ إذ تتخلى بهذه السهولة عن أول هدية تهديها إليك زوجتك ، وتُهدى الخاتم الذى أقسمت وأنت تلبسه أن تحافظ عليه وأن يظل ملازمًا إصبعك . . لقد أهديت أنا أيضًا إلى حبيبى خاتما وجعلته يقسم ألا يفارقه . وها هو معنا الآن ، وبوسعى أن أقسم نيابة عنه أنه لن يتخلى عنه ولن يخلعه من إصبعه ولو أعطوه مال الدنيا بأسرها . . لا ياجراشيانو . قد كنتَ قاسيا إذ تسببت بفعلتك فى إيلام زوجتك . ولو حدث لى مثل ما حدث لها لجن جنونى .

بســانيو : (جانبا) ليت يدى اليسرى قد قُطعت حتى أقسم لها أنى فقدتها وأنا أدافع عن الخاتم !

جراشيانو : لقد أعطى مولاى بسانيو خاتمه للقاضى عندما طلبه منه ، وكان القاضى بالفعل جديرًا بأن يناله . ثم جاء هذا الغلام كاتب القاضى

الذى بذل جهدًا فى تحرير المحاضر فناشدنى أن أعطيه خاتمى . وما قبل القاضى ولا كاتبه أجرًا غير الخاتمين .

بورشيا : أىّ خاتم ياسيدى ذلك الذى أعطيته للقاضى ؟ آمل ألا يكون الخاتم هديتى إليك .

بسانيو : لولا خشيتى من أن أضيف الكذب إلى غلطتى لأنكرت ذلك . ولكنك ترين إصبعى دون خاتم فيه . فقد راح الخاتم .

بورشيا : وكذا أرى قلبك الزائف دون وفاء فيه . قسما بالله لن أشاركك فراشك حتى أرى الخاتم مرة أخرى .

نيريسا : وأنا أيضًا ، حتى أرى خاتمى مرة أخرى .

بسانيو : عزيزتى بورشيا ، لو أنك عرفت ذلك الذى أعطيته الخاتم ، ولو أنك عرفت الشخص الذى من أجله أعطيت الخاتم ، ولو أنك عرفت الخدمة التى أعطيت ثمنا لها ذلك الخاتم ، وأدركت مدى أسفى وأنا أعطى الخاتم ، وأنى لم أعطه إلا لأنه أبى أن يقبل غير الخاتم ، لكان من المؤكد أنك ستخففين من غلواء غضبك .

بورشيا : لو كنت تعرف أنت قيمة هذا الخاتم ، أو حتى نصف جدارة تلك التى أعطتك الخاتم ، والتزامك الخلقى بالحفاظ على الخاتم ، لما تخليت إذن عن الخاتم . وما أحسب أن هناك رجلاً هو من الهوس أو قلة الذوق بحيث يصر على أخذ شىء عزيز على رجل آخر ، لو أنك أبيت أن تعطيه إياه مع شىء من الإصرار . وإنى لأظن نيريسا على حق ، وأكاد أقسم أنك قد أعطيته لامرأة !

بسانيو : سيدتى ، أقسم بشرفى وبخلاص روحى أننى ما أعطيته لامرأة ، وإنما لفقيه فى القانون المدنى أبى أن يأخذ منى ثلاثة آلاف دوقية ، وألح فى طلب الخاتم فأبيت ، مما جعله ينصرف ساخطا ، وذلك بالرغم من أنه هو الذى أنقذ حياة صديقى العزيز . فما عساى أن أقوله ياسيدتى ؟ لقد اضطررت إلى أن أبعث به إليه وقد أحسست بالخجل وضرورة مراضاته .

ذلك أنى لم أسمح بأن يلوّث نكران الجميل شرفى . فاغفرى لى أى سيدتى الطيبة ، وأقسم بهذه النجوم المباركة فى سماء الليل، أنك لو كنت معنا هناك لناشدتنى أن أعطيك الخاتم حتى تدفعيه إلى ذلك الفقيه الموقر.

بورشيا : لا تدع الفقيه يقترب من دارى ما دام قد حصل على الحلية التى كنت أحبها والتى أقسمت أنت أن تحتفظ بها نيابة عنى . فإن جاء فسأحذو حذوك وأكون سخية معه ، لا أضن عليه بشىء أملكه حتى إن كان جسدى أو فراش زوجى . وإنى لواثقة من أنى سألقاه . فلا تبيتن ليلة خارج الدار . وكن فى مراقبتك إيّاى يقظا مثل أرجوس [1] ، وإلا فإن فى نيتى متى ما تُركت وحدى ، وقسما بشرفى الذى لا يزال حتى الآن ملكا لى ، أن أضاجع ذلك الفقيه .

نيريسا : وسأضاجع أنا كاتبه ، فاحذر إذن من أن تتركنى وحدى دون رقابة .

جراشيانو : إفعلى إذن ، وسترين أنى إن ضبطت ذلك الكاتب الشاب معك فسأقصف له قلمه !

أنطونيو : ما أشقانى إذ أكون المسئول عن كل هذه الشجارات !

بورشيا : لا تبتئس ياسيدى ، ومرحبا بك رغم كل ما حدث .

بسانيو : بورشيا ، إغفرى لى زلتى هذه غير المتعمدة . وأقسم لك بمسمع من هؤلاء الأصدقاء العديدين ، وبعينيك الجميلتين اللتين أرى صورتى فيهما ــــــــ

بورشيا : أسمعتم ؟ إنه يرى فى عينىّ صورتين له ؛ فى كل عين صورة . فاقسم إذن بشخصيتك المزدوجة أصدّقك !

بسانيو : بل فاسمعينى . إغفرى له هذه الزلة وسأقسم لك بخلاص روحى أننى لا أنكث عهدًا أقطعه على نفسى لك .

(١) أرجوس ، فى الأساطير القديمة ، هو الحارس اليقظ ذو المائة عين ، إن نام لم يغمض غير اثنين منها .

أنطونيو : لقد قدمت جسدى فى يوم ما ضمانا لدينه . ولولا ذلك الشخص الذى أخذ خاتم زوجك لكنتُ الآن فى عداد الموتى . وها أنا مرة أخرى أقدم روحى ضمانا لالتزام زوجك بعهوده لك .

بورشيا : ما دمت ستكون ضامنه فاعطه هذا واطلب منه أن يحافظ عليه لا كالمرة السابقة .

أنطونيو : خذه يابسانيو واحلف أن تحافظ عليه .

بسانيو : يا إلهى ! إنه نفس الخاتم الذى أعطيته للفقيه .

بورشيا : قد أخذته منه . إغفر لى يابسانيو ، فقد ضاجعت الفقيه من أجل الحصول عليه .

نيريسا : واغفر لى ياجراشيانو العزيز ، فقد ضاجعت ليلة أمس ذلك الصبى القصير كاتب الفقيه من أجل الحصول على هذا الخاتم منه .

جراشيانو : أهكذا تلتمسان العشاق وزوجاكما قويان متلهفان على الوصال ؟ أباتت لنا قرون قبل أن نكون أهلا لها ؟

بورشيا : لا تفحش فى القول . أراكم تعجبون لما حدث . هاكم رسالة فاقرءوها حين يسمح وقتكم . إنها من بادوا ، من بيلاّريو . ومنها ستكتشفون أن بورشيا هى الفقيه ، وأن نيريسا هى كاتبها . ويشهد لورينزو هنا أننى سافرت بعد رحيلكم مباشرة وأننى لم أعد إلاّ الآن ، ولم أدخل بعد دارى . . أنطونيو ، أهلا بك ! وعندى أخبار لك هى أسعد مما تتوقع . فُضّ هذا الخطاب بسرعة ، وستعرف منه أن ثلاثا من سفنك الضخمة قد وصلت فجأة إلى الميناء تحمل ثروة طائلة . ولن أخبرك بخبر المصادفة الغريبة التى أوصلت هذه الرسالة إلى يدى .

أنطونيو : قد عقلت الدهشة لسانى .

بسانيو : أكنتِ الفقيه ولم أتعرّف عليك ؟

جراشيانو : أكنتِ الكاتب الذى أضاف إلى رأسى قرنين ؟

نيريسا : نعم ، وإن كان لن يضيفهما أبدا إلى رأسك ما لم يغدُ رجلا .

بسانيو : أيها الفقيه العزيز ، ستكون رفيقى فى الفراش ، فإن غبتُ كان من حقك أن تضاجع زوجتى .

أنطونيو : سيدتى الجميلة ، قد رددتِ علىّ حياتى وثروتى . فالخطاب هنا يؤكد أن سفنى قد وصلت سالمة إلى الميناء .

بورشيا : أما عنك يالورينزو فإن لدى كاتبى أخبارًا سارة لك أنت أيضًا .

نيريسا : أجل . ولن أطلب أجرا مقابل إخطاره بها . . هاك أنت وجيسيكا من عند اليهودى الثرى عقد هبة يترك لكما بمقتضاه عند وفاته كافة ما يملكه .

لورينزو : إنه المنّ تطرحه هاتان السيدتان الجميلتان فى طريق الجياع .

بورشيا : كاد الصباح يدركنا . غير أنى واثقة من أنكم تريدون معرفة المزيد من تفاصيل هذه الأحداث . فلندخل إذن ، واطلبوا منا أداء اليمين قبل استجوابكم إيانا وسنخبركم فى صدق بكل ما حدث .

جراشيانو : فليكن إذن . وسيكون أول سؤال لى فى استجوابى لنيريسا بعد أدائها اليمين هو ما إذا كانت تفضل الانتظار حتى الليلة القادمة ، أم أنها ترى أن نأوى الآن إلى الفراش وقد مضت ساعتان على طلوع الفجر . فإن سطع نور الصباح فسأدعو الله أن يخفيه ، حتى أضاجع كاتب الفقيه كذلك فلن أحرص على شىء ما كُتب لى البقاء ، حرصى على صيانة خاتم نيريسا الحسناء .